الحيـــاة والكـــفاح

***

هنالك صلة واضحة في الحياة الاجتماعية بين معنى الحياة المليئة الغزيرة وبين الكفاح فيها والنضال ، فنحن نرى بأعيننا ان الذين يبذلون جهدا كبيرا في معترك الحياة يفوزون منها بنصيب اوفى مما يفوز بـه غيرهـم . وتلك قاعدة عامة ، غير ان للقضية وجها اخر .

فالذين يفوزون بالخلود في هذه الحيـاة يبذلون الجهد مكافحين مناضلين . ويمتد هذا الكفاح في حياتهم زمنا طويلا يبدأ في حياتهم المبكرة وينتهي بانتهاء حياة مديدة . ويقترن هذا الكفاح الذي لا بد منه بذكاء خارق يمتد ببصره الى قابل الايام فتكون نتيجة الجهـــدوالكفاح تطورا خلاقا ينقل الناس الذين اثرت فيهم حيـاة الرجل الخالد من طور الى طور افضل ، ومن وضع الى وضع ارقى . وقد لا تمتد حياة الرجل الخالد الخلاق زمنا طويلا ، لكن حياته تظل متصفة بالكفاح والذكاء.

ويبدو ان هنالك ارتباطا عضويا بين حركة الرجل المكافح وكيانه . لكأن خلايا الجسم والعقـل ذات تفاعـل داخلي مختلف او هو اقوى واسرع منه في الاحوال العادية . ومن هنا يتصف الرجل المكافح بالداب والاستمرار والنظر الى امام . ومما تجدر ملاحظته هو ان حياة الكفاح والنضال هذه ذات اثر اجتماعي، ولكن قاعدتها عضوية مادية . فالذكاء وليد الجهاز العصبي الخاص ، والنشاط وليد التركيب الخلوي الفعال .

وكلما تطور الاساس العضوي للحياة توقعنا مستوى اعلى من الكفاح والذكاء . (وقد نستطيع ان نقصـر كلامنا على الكفاح الخلاق وحده ، فانه لا يتم ولا يثمر دون ذكاء) . وفي الحياة العضوية كما هو معلوم يتـم التطور بالتغيرات البطيئة المستمرة التي تولد مع الزمن الطويل انواعا جديدة من الحياة الارقى ، على قاعـدة دارون ، ولكن التغيرات المفاجئة mutations في هذا السبيل اكثر فائدة في الارجح من التغيرات البطيئـة واشد اثرا في خلق انواع جديدة ارقى ، بنسبـة اعلى .

والرجل العظيم المكافح وليد هذه العملية بشكل او بآخر ، فهو يستفيد من كيانه العضوي وذكائه الفطري في ادراك حاجة التطور الاجتماعي ، فيعمـد الى اداء هذه الحاجة على صورة تولد في ذاتها مزيدا من الذكـاء الكسبي وقدرا كبيرا من الخلق والابداع . والرجل المكافح مجرب يثق بحياته وتانس الى خبرته وتستسلـم لقيادته . فنحن اشد ايمانا بالرجل الذي صهرته الحياة فاحتمل صهرها وخرج منها صافيا نقيا . ونحن ننحنـي للرجل الذي جاع وعري وبات في كهف وارتقى قمـة جبل ومشى في الظلام خائفا يترقب ، ثم هوى الى القاع متحطما متألما ثم نهض نافضا عن نفسه غبار الفشل ،مستأنفا السير الجديد بشمم ومثابرة وعناد ، حتى بلـغ قمـة النصـر والنجاح .

ولقد نرى في اقوال المفكرين والادباء الملهمة ما يشير الى قولنا هذا في تعبير ادبي جميل يبعث الايمان والثقة. فقد قال احد الكتاب الغربيين « اذا اردت ان تحيا فعش في خطر » . وقال احد رواد القرن الماضي ممن كانوا يتسلقون قمم الجبال العالية ، مثل قمة افرست : «الحياة افضل ما تكون عندما تجازف بالحياة » .

وكما ان التغيرات البيولوجية المفاجئة تقـع نادرا فتقفز بها الحياة من طور الى طور ، فان فلتات العظمـة نادرة كذلك . ولعل الصلة بينهما قائمة كما اشرنا .

وكما ان معظم حياة الاحياء تنقضي فـي اعادة الماضي والثبات على الشكل القائم ، فان معظم افراد المجتمـع عاديون لا يتكلفون ، ولا يستطيعون ان يتكلفوا ، عناء التغيير والتطوير والتقدم . فالانسان العادي يلتزم حياة لا كفاح فيها ولا نضال ، يلذ له جانب الراحة والدعة ، ويستمرىء الاخلاد الى السكينة والهدوء . لكأن السعادة في هذه الحالة الغالبة منبعثة من اكتفاء خلايا الجسم والعصب وامتلائها ودفئها وراحتها .

على ان حدا ادنى من معاركة الحياة من الناحيتين العقلية والبدنية ضروري فيما يبدو ، مهما كان الانسان عاديا ، للحفاظ على صحة العقل العادية والبدن ، والا انحدر مظهر الذكاء وتضاءل حظ البـدن مـن قدرهما المحدد من طول الحياة .

لكن للكفاح بمعناه الكامل طريقا اخر اكثر اقتضاء للذكاء والتضحية والفائدة والخلود .

عمان ــ الاردن **محمد اديب العامري**

قضية المصطلحات العلمية والفنية

بقلم ضاحي عبد الباقي

ماجستير في الدراسات اللغوية

* * *

للغة المقام الاول في صهر الامة في بوتقة واحدة ، وصوغها في قالب متجانس ، اذ هي اداة التفاهم بين الافراد وواسطة نقل الافكار بينهم واللغة من حيث هي مجموع الفاظ تدل على اغراضنا لا يمكنها ان تبلغ الغاية المنشودة ما لم يكن فيها الفاظ وافية كافية للدلالة على كل ما نلمسه في الحياة او يطرق بالنا من معان . وكل لغة تعوق الذين ينطقون بها عن تبيان مقصدهم لنقص فيها ، تعد لغة فقيرة ويعد هذا تقصيرا من علمائها ، ذلك لانه لا يكفي ان يكون الشيء موجودا بذاته فقط ، بل يجب ان يكون له اسم ليستطيع الناس ان يفهم بعضهم افكار البعض ، وتستطيع الاجيال المتأخرة الاستفادة من الاجيال السابقة . ولما كانت المصطلحات جزءا من اللغة تخزن بين طياتها العلوم والفنون التي يتركها المتقدم للمتأخر ، كان لقضيتها خطورة كبرى ووجب الاهتمام بها .

نظرة تاريخية : كان للعرب في الجاهلية مصطلحات ، الا انها كانت قليلة نظرا لقلة نصيبهم من العلوم والحضارة . ثم جاء الاسلام واحدث ثورة في الحياة العربية ، وتقدم بالعرب تقدما كبيرا كان له اثره الواضح من الناحيتين العلمية والحضارية . واجتهد المسلمون خدمة لدينهم او لقوميتهم في خلق علوم جديدة . ثم رغب العرب بعد ذلك في نقل تراث الامم الاخرى فكانت نهضة كبرى ، واستتبع ذلك ظهور مصطلحات بعضها عربي المنبت كمصطلحات العلوم العربية ، والاخر ولد في الخارج ثم دخل البيئة العربية وفيها تربى ، واعني بذلك معظم مصطلحات العلوم الدخيلة . وقد تعددت المصطلحات في اول الامر ، فكان للمدلول الواحد اكثر من اسم ثم توحدت اخيرا واكتفى بمصطلح واحد للمسمى الواحد ، وكان ذلك بصفة خاصة في مصطلحات العلوم العربية .

ثم اصيب العالم العربي بركود علمي ، وتقدم الغرب ، وجاء العصر الحديث فدهمتنا هذه المصطلحات فجاة على اثر النهضة التي حدثت في القرن الماضي في مصر والشام ، والتي كان العرب فيها ظمأى لنقل كل علوم الغرب ، فدخلت العربية الاف المصطلحات بصورتها الاعجمية لان الزمن لم يكن يسمح لايجاد مقابل لكل لفظ دخيل .

ثم يصاب هذا العالم العربي في اواخر القرن الماضي بنكسة من جراء وضعه السياسي الاليم حيث الاستعمار يسيطر على كل ارضه ، ومن جراء عدم الاعتراف بلغته القومية ، اذ يلغى تدريس العلوم الحديثة بها في مصر والشام ، فيحدث رد فعل ويحارب الدخيل بجميع صوره ومنه المصطلحات المعربة (اي التي دخلت العربية بصيغتها الاعجمية) وينادي الغيورون بأعلى اصواتهم ان حافظوا على لغتكم اساس قوميتكم وطهروها من كل دخيل وحاولوا انماءها بغذاء نبت في ارض الوطن ولم تنبته ارض الغاصب المعتدي . وتتوالى الصرخات هنا وهناك تطالب بضرورة تكوين هيأة لغوية يوكل اليها امر هذه اللغة وتكون صاحبة الحق في الزيادة فيها وتنشأ مجامع هنا وهناك ، الا انها ما تلبث ان تجتمع حتى تنفض ، ومع ذلك فقد اخذ بعض الافراد يجاهدون في سبيل خدمة مصطلحاتهم . واخيرا في سنة ١٩٣٢ تنشأ هيأة لغوية يوكل اليها هذه المهمة . ويقوم هذا المجمع بما اوكل اليه قدر طاقته . ويشاركه في القيام بهذه المهمة في الوطن العربي كله افراد وجماعات يسيرون على الخطة التي رسمها ويستعينون بمصطلحاته التي وضعها ، ويعرضون عليه في كثير من الاحيان اعمالهم ليقول فيها كلمته . لكن المصطلحات التي امامنا الان اضعاف ما عولج . وبجانب ذلك فان القضية لم تقتصر على وضع المصطلحات ، بل تعدتها الى تعدد المصطلحات للمدلول الواحد ، فكان ان ظهرت دعوات تنادي بضرورة توحيد المصطلحات . ومن اجل ذلك عقدت عدة مؤتمرات مثل المؤتمر الطبي العاشر الذي عقد في بغداد سنة ١٩٣٨ والمؤتمرات العلمية العربية الا ان المشكلة لم تحل بعد .

قضية المصطلحات الان اذن ذات شقين :

الاول – متابعة التقدم العلمي السريع ووضع مصطلحات لمجابهة هذا التقدم وتحقيق المصطلحات التي وضعها السابقون .

الثاني – توحيد المصطلحات بحيث لا يكون للمصطلح الاجنبي الواحد سوى مقابل عربي واحد يتداول استعماله في كل انحاء الامة العربية .

وهذه خطة ارى انها سبيل لحل هذه القضية بشقيها :

١ – يكتفي بجهة واحدة يخرج منها المصطلح العربي ، ونحن لا نمانع في تعدد جهات الوضع ، لكننا نرى ان يمر المصطلح في دوره الاخير على هيأة واحدة هي التي تقره الاقرار النهائي ، وليتولى ذلك مثلا مجمع اللغة العربية باعتباره المجمع الوحيد الذي اقتصر على اللغة وانه يمثل البلاد العربية كلها ، وان الناس جميعا سلموا له بهذه المهمة . ولتنظيم العمل ينشر المجمع المصطلحات عقب اقرارها في مجموعة – كما يفعل الان – ويضيف اليها انها مقترحة ، كي يتلقى راي المعنيين بها ، ويعيد النظر في المعترض عليه منها على ضوء الملاحظات التي تبدى عليه ، ثم يقره على انه نهائي ، وانه صار جزءا من

اللغة الفصحى لا تغيير فيه ولا تبديل بعد ذلك ، حتى ولو تبين انه غير دقيق ، اذ لا مشاحة في ان الاصطلاح لا يعني تسمية جامعة مانعة للمسمى . فكم من مصطلحات في اللغات الافرنجية لا تدل على المعنى دلالة تامة دقيقة ، مثال ذلك Zooid (حيوان) لم يتأكد العلماء في بادىء الامر انه حيوان فاطلقوا عليه هذا الاسم (وهو مكون من Zoo اي حيوان و oid بمعنى شبه فمعنى اللفظ اذن الشبيه بالحيوان) ثم ظهر بعد ذلك انه حيوان ، ومع ذلك لم نجدهم يجرون على المصطلح تعديلا . بل كم في العربية من الفاظ تدل على المعنى ونقيضه مثال ذلك : الناهل (العطشان والذي شرب حتى روي) ، البك (التفريق والازدحام) ، البشر (الكثير والقليل) .

هذا واري ان تكون قرارات هذا المجمع الزامية يراعيها الاساتيذ في ترجماتهم ومؤلفاتهم .

٢ ـ يكتفي هذا المجمع بلفظ واحد مقابل المصطلح الاجنبي الواحد ولا مانع من ان يكون ذلك في الطبعة النهائية لمجموعة المصطلحات .

٣ ـ تكوين لجنة في هذا المجمع لمتابعة كل جديد من الفاظ الحضارة لتعرضه على اللجنة المختصة ، لتتولى دراسته ، ويعطى الاولوية في الدراسة حتى اذا ما قال المجمع فيه كلمته نشر في الصحف . واعتقد انه سيلقى قبولا حسنا ، فالناس دائما مولعون بتقليد الخاصة ، وسيكون ذلك اوقع اذا علموا انه صادر عن الخاصة الذين لهم في النفوس مكانة علية .

واعتقد اننا بهذا نستطيع ان نحل مشكلة تعدد المصطلحات وهي الشق الثاني من هذه القضية .

اما رايي في الوسائل التي اقترحت لحل مشكلة المصطلحات (الشق الاول من القضية) فهو :

١ ـ التنقيب عن مصطلح استعمل قديما للدلالة على المعنى المراد ترجمته اذا كان يدل عليه دلالة تامة ، لان المصطلحات التي تواجهنا الان ليست كلها من انتاج العصر الحديث ، بل ان منها ما هو قديم وواجهه العرب في الماضي . ولما كان لكثير من المصطلحات التي من هذا النوع اكثر من لفظ ، ارى ان يبدأ المجمع بتفريغ المصطلحات الموجودة في الكتب ويضع لكل منها المقابل الافرنجي ، ويعمل من ذلك معجما لكل علم على نسق معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى ، يشمل مصطلحات هذا العلم منذ ان عالجه العرب حتى الان ، ثم تنخل هذه المصطلحات ويكتفي بواحد منها فقط . وكان مجمع اللغة العربية قد اصدر عدة قرارات بشأن جمع المصطلحات القديمة في معاجم خاصة ، لكن شيئا من ذلك لم يتم .

٢ ـ الاستعانة باوضاع العامة : لم ينتظر العامة المجمع اللغوي كي يسمي لهم الاسماء التي هم في حاجة اليها ، بل سموها بمجرد ان رأوها ، وكانت تسميتهم اما عربية بطريق المجاز او الاشتقاق ، واما بطريق التعريب . الا ان في اوضاعهم بعض التحريف رغم الدقة التي نجدها في كثير من الفاظهم العربية ، فيجب جمع هذه الالفاظ ـ وهو ما سبق ان قرره مجمع اللغة العربية ـ ووضع مقابلها الاجنبي ووضعها في معجم ، كما هو المقترح بالنسبة للالفاظ القديمة ، ثم تصفيتها وتصحيح المختار منها .

٣ ـ الترجمة : وهي نوعان : حرفية ، ومعنوية .

أ ـ الترجمة الحرفية : ـ والمقصود بها ان تكون صياغة الكلمة العربية على نمط النموذج الاجنبي مثال ذلك كلمة Geology المكونة من كلمتين هما Geo ومعناها « ارض » و logy بمعنى علم ، فالترجمة الحرفية اذن هي « علم الارض » .

ب ـ الترجمة المعنوية : ـ اما الترجمة المعنوية فيقصد بها ترجمة الكلمات بمعانيها دون تقيد بالحرفية مثال ذلك ترجمة geology بـ « علم طبقات الارض » .

هذا وقد يقصد بالترجمة مقابلة اللفظ الاجنبي بلفظ عربي بصفة عامة سواء أكان بطريق الترجمة ام غيرها كالاشتقاق ، ولكننا نحن هنا في مجال التخصيص ، فقصدنا هنا الترجمة الحرفية والترجمة المعنوية فقط .

والترجمة الحرفية هي ادق الوسائل في التعبير عن المصطلح الاجنبي ، الا انها لا تسعف دائما ، فهناك مصطلحات لا يمكن ترجمتها كتلك المنسوبة الى اعلام (سواء أكانت اسماء اشخاص ام اماكن) مثل Copornicha (نخلة) نسبة الى العالم الفلكي كوبر نيكوس . وكتلك المصطلحات التي لا تدل في لفاتها على المصطلح دلالة علمية تامة ، لانها وضعت في ظروف لم يكن المسمى قد عرفت كل خصائصه معرفة دقيقة مثال ذلك : Atom (ذرة) فانه مكون من A بمعنى لا و tom بمعنى الشيء الذي يتجزأ ، فمعنى اللفظ اذن الشيء الذي لا يتجزأ او اللامتجزىء . ثم اثبت العلم الحديث انه لا يتجزأ .

٤ ـ المجاز : ـ وهو استعمال الكلمة في معنى غير معناها الاصلي ، على ان يكون بين المعنيين علاقة ، وان تكون هناك قرينة تمنع من ارادة المعنى الاصلي .

والعلاقة قد تكون المشابهة ويسمى هذا النوع من المجاز الاستعارة ، او المجاز الاستعماري وقد تكون العلاقة غير ذلك كما في المجاز المرسل . وعلاقات المجاز المرسل كثيرة مثل الجزئية وهي تسمية الشيء باسم جزئه نحو قوله تعالى «فتحرير رقبة مؤمنة» اي عبدمؤمن .

والمجاز وسيلة حسنة استعان بها القرآن الكريم في وضع كثير من المصطلحات ، ونشترط في الالفاظ التي نستعيرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ – ان تكون هناك صلة بين المعنى الاصلي والمعنى المراد التعبير عنه ، وهو امر قد قرره السابقون .

ب – ان تكون اللفظة مهجورة الاستعمال ، وذلك توخيا لرفع الالتباس بين الالفاظ الاصطلاحية والالفاظ العامة . وفي اللغة العربية الفاظ كثيرة غير مستعملة . جاء في مختصر العين للزبيدي ان « عدة مستعمل الكلام كله ومهملة ستة الاف الف وست مئة الف وتسعة وخمسون الفا واربع مئة ، المستعمل منها خمسة الاف وست مئة وعشرون ، والمهمل ستة الاف الف وست مئة الف وثلاثة وخمسون الفا وسبع مئة وثمانون » .

ج – والشرط الثاني (ب) مشروط بأن تكون الكلمة خفيفة على اللسان غير ثقيلة . وبهذه المناسبة اقترح ان يستخرج المجمع اللغوي من بعض امهات المعاجم القديمة كالمخصص ولسان العرب الالفاظ اللغوية التي يرى انها تصلح لان تكون مصطلحا ، ويكتبها في جزازات تعرض على اللجان المختلفة لتستفيد منها في اوضاعها . وهو مشروع حاول مجمع ادريس راغب الذي انشىء بمصر سنة ١٩٢١ القيام به ، وخطا في ذلك خطوة . وقام بتجربة ناجحة في هذا الموضوع داود الجلبي عند تأليفه « معجم مصطلحات امراض الجلد » .

٥ – الاشتقاق : – وهو نزع لفظ من لفظ اخر بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الاحرف الاصلية وفي ترتيبها ، فمن الكتابة نستطيع ان نشتق كتب ويكتب وكاتب ، ومكتب . . . الخ . والاشتقاق من اهم الوسائل وقد وضع له مجمع اللغة العربية كثيرا من القواعد القياسية الخاصة به .

٦ – النحت : – وهو انتزاع كلمة جديدة من مجموع حروف كلمتين او اكثر من المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى معا ، مثال ذلك الصلدم (اي الصلب المتين والدابة القوية الحافر) فقد قالوا انها منحوتة من كلمتين هما : الصلد ، والصدم .

واني اشك في ان النحت يمكن ان يمدنا بالفاظ كثيرة ، ذلك لان الالفاظ المنحوتة تتسم غالبا بالغرابة . لذلك لم يلجأ اليها القدماء الا في الفاظ قليلة مما يكثر دورانها على الالسنة . وكل ما وضع في العصر الحديث مقترحا كان مصيره الى الفناء باستثناء الفاظ معدودة .

ان حجة كثيرين من هؤلاء الذين يؤمنون بالنحت ،انه يمدنا بكلمة واحدة بدلا من كلمتين . لكن من ذا الذي يفضل الكلمة الواحدة « هندعة » (من اوضاع رشيد عطية – راجع معجم عطية ») على الكلمتين « الهندسة الزراعية » .

انني لا ارى ان نستعين بالنحت الا في الكلمات السهلة التي لا تنبو عن الذوق ، والتي يسهل معرفة اصولها ككلمة « انفمى » للدلالة على الصوت الذي يخرج من الانف والفم معا .

٧ – التركيب المزجي : – وهو مزج كلمتين وتكوين كلمة واحدة منهما دون حذف احد اجزائهما . وبرغم ان التركيب لم يدرس دراسة كافية لمعرفة ما اذا كان العرب الاصلاء قد استعانوا به اولا ، الا انني اعتبره نوعا من النحت يمكن ان نستعين به ، بل اني افضله عليه ، لان الكلمات المركبة يسهل فهمها عن الكلمات المنحوتة . لكن ذلك مشروط بالا تزيد عدد حروف الكلمة الجديدة على سبعة احرف .

٨ – التعريب : وهو استعمال الالفاظ الاعجمية ودمجها في اللسان العربي . وهو من الوسائل التي استعانت بها جميع اللغات بما في ذلك العربية ايام فتوتها . واعترف به القرآن الكريم وعامل الفاظه بنفس المعاملة التي عامل بها الالفاظ العربية الاصل . الا ان ذلك مشروط بالضرورة ، لاننا لو فتحنا الباب على مصراعيه لدخلت الفاظ كثيرة اللغة ، لان الشخص يستطيع ان يعرب في اليوم مئات الكلمات ، في حين انه لا يستطيع ان يضع سوى بضعة الفاظ عربية بعد جهد جهيد . ونحن لو فتحنا هذا الباب على مصراعيه في هذا الوقت الذي كثرت فيه الالفاظ الاعجمية التي نحن في حاجة اليها ، لاصبحت لغتنا خليطا من عدة لغات ، ولاصبح شأنها شأن اللغة المالطية .

وشرط اخر وهو انه لا بد ان تكون الكلمة المعربة على منهاج الكلمات العربية في وزنها وفي عدد حروفها . ولقد كان العربي الاصيل يفعل ذلك عند التعريب ، ونحن هنا نتسامح فلا نشترط في الوزن ان يكون له عدد معين من الامثلة التي وردت في كلام الفصحاء ، بل يكفي مثال واحد حتى ولو كان معربا ، فان هذا خير من الخروج على الاوزان العربية .

وفيما يخص حروف الكلمات المعربة ، ظاهر من استعراض التعريب عند العرب في شتى عصورهم انهم كانوا يبدلون الحروف التي ليست لهم بحروف اخرى عربية قريبة منها . بل انهم كانوا في بعض الاحيان يغيرون حروفا لها ما يقابلها في العربية . ونفس الامر حدث عند الاوروبيين عندما اوربوا بعض الكلمات العربية. خذ مثلا الكلمات العربية : صداع ، السموم (ريح حارة تهب من الصحراء محملة الاعفار والرمال) ، تمر هندي، فان هذه الكلمات صارت في الانجليزية : Soda و Simoom و Tamarind اما تغيير الحروف التي ليس لها مقابل في العربية ، فهو امر واجب كي تحتفظ اللغة بشخصيتها فلا تدخل فيها اصوات جديدة غريبة عليها .

واما الامر الثاني فهو وان كان قد حدث فعلا في الازمنة الغابرة مما ادى احيانا لاعمال الفكر في بيان أظل المصطلح المعرب ، فلا نجيزه الان ، لان عدم التغيير لا يمس جوهر اللغة .

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

مع مدار الشمس

الى صاحب « الاديب » بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على انشائها

أخي الكريم الاستاذ البير أديب :هذه الابيات المرفقة هي منك ، واليك ... ولا يملك حياؤك ان يحجبها عن النشر في مجلة الاديب بمناسبة عيدها العظيم . فتفضل – غير مأمور – بنشرها ، واضمها الى تحيتي وتهنئتي وتهنئات الالاف من العرب المعجبين بك الى أبعد الحدود والله حافظك ومعينك في مقبل خطواتك التي تضمن لها صلابة ماضيها ثبات مستقبلها . محمد عبد الغني حسن.

☆ ☆ ☆

أيها المالىء برديك اصطبارا — كيف لم تيأس مع الشمس مدارا ؟
تقطع الايام فكرا سائرا — وتشق الكون هديا ومنارا
ما خبا ضوؤك ليلا واحدا — أو دنا شاؤك بالسعي نهارا
صاعدا كالنجم ... لا يشكو على — عتب الافلاك في الجو مسارا
ماضيا كالسهم في أهدافه — لم يحد عنها يمينا ، او يسارا
يدفع الهم بهم مثله .. — ويرد الصخر بالصخر اقتدارا
راضي النفس بادنى لقمة — لم يرد جاها ، ولم يطلب نضارا
في زمان كلب الناس به — نهما في المال ، وازدادوا سعارا
وهو لو شاء من الدنيا مدى — لأتاه الجاه طوعا واختيارا

يا أديب النفس والدرس معا — زادنا خلقك – والله – انبهارا !
قد عرفناك على الفوح كما — يعرف المسك أريجا وانتشارا
تنفح الكون برياك ... ولا — تملأ الكون ادعاء ، واغترارا
في حياء يستحي من ذكره — ويرى الزهو على الانسان عارا
جهدك الصامت لم نعهد له — ها هنا في الشرق أشباها كثارا
حيث خاوي الفكر والنفس معا — يملأ الدنيا ضجيجا وافتخارا !

أيها الناسك في مجتمع — زاد نحو المال صوبا وانحدارا !
أرأيت الناس كيف اندفعوا — كالمساعير الى المال سكارى ؟!
حسبوا « الدولار » يبني حائطا — في بناء المجد ، او يعلي جدارا !!
ليس من شيد للذات ، كمن — شاد للأمة آمالا كبارا
الرسالات لها اصحابها — فامض في دربك عزما وانتصارا
« فالاديب » اليوم صارت مشعلا — يبعث النور ، وهديا للحيارى

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

---

٩ – الارتجال : – وهو النطق بكلمة جديدة في صورتها . وارى انه لا يمكن الاعتماد على الارتجال في مواجهة الفاظ جديدة ، اذ ان الكلمات المرتجلة لا يمكن ان تكون في مجال علمي هادىء تقلب فيه الامور ،ويعمل فيه الفكر على وضع مصطلح عربي في مقابل مصطلح اجنبي ، وانما سبيل الارتجال هو ان يطلق احد من الناس على مسمى ما اسما في حالة انفعالية. وقد يشيع بعد ذلك هذا الاسم بين الناس عن طريق التندر . وعلى مر الايام يكون هذا الاسم جزءا من مسماه فيستعمله العلماء بطريق التسجيل .

وبعد فهذا عرض لقضية المصطلحات ومنه يتبين انها لا تزال في حاجة الى عناية . ولعل في اتباع الخطة التي ذكرناها حل لهذه القضية . واملنا ان نرى لغتنا العربية في المستقبل القريب اللغة العلمية العالمية الاولى، تعطي اكثر مما تأخذ .

القاهرة — ضاحي عبد الباقي

الصدق والادب

بقلم عبد اللطيف شرارة

* * *

جاءني ، قبل ايام معدودات ، فتى لا يزال على مقعد الدرس ، وقال بلهجة يمتزج فيها الاحتجاج بالحيرة :

ـ ما هو هذا الصدق الذي يطلبه ادباء هذا الزمان ومفكروه ، ويلحون في طلبه ، ثم نراهم يستعملون « الخيال » في قصصهم ، واشعارهم ، ومسرحياتهم ، هل تحسب انهم يصدقون الناس القول ، حين « يفبركون » ما يكتبون ؟

لا اريد ، ولا استطيع ان اعرض على القارىء كل ما جرى بيني وبين ذلك الطالب من حوار حول هذا الموضوع. فالمسألة من الطول والاسهاب في منزلة يضيق معها كل مجال . وذلك لان باب الشك مفتوح على مصراعيه لكل والج ، ولا سبيل الى ايصاده في وجه احد . وقد جهدت الانسانية الاولى من ايام الهنود والاغارقة ، مرورا بالغزالي حتى ديكارت ومن تلاه ، الى يومنا هذا ، في الابقاء على ذلك الباب « مفتوحا » ، وكلما حاول فرد او جماعة اغلاقه ،هبت زعازع الحرية من كل فج وصوب، وحطمت الابواب الموصدة .

القضية اذن ، قضية الصدق في الادب ، لا تحل من جانب واحد ، اي من جانب الاديب ، ناثرا كان ام شاعرا . لا بد من ان نلاحظ موقف القارىء من الاثار الادبية ، ومدى ما يوليها من اهتمام جاد في جانب ، وما يخلع عليها من اهمية فيما يصدق منها او يكذب ، في جانب . ومعنى ذلك ان لتصديق القارىء او تكذيبه او حياده يدا طولى في توجيه الادب عامة ، والتأثير في الانتاج الادبي .

وذلك ، كما يقرر البروفسور دو يلشاوفرز ، لان « الدليل الذي نقتنع به (على صحة فكرة او قضية او مبدا) انما هو ذلك الذي يكون متوافقا اكمل التوافق مع عاطفتنا الجمالية . وهذا يعني اذن ، ان حياة العواطف هي التي تقرر سيرة الانسان ومسلكه ،ويخولنا حق التأكيد ، انما هي الحالات العاطفية التي تشد مختلف عمليات الذهن بعضها الى بعض ، وتجعلها مترابطة متراصة . »

وليس من شأن الشك اذا عم وانتشر ان يجعل للادب قيمة في النفوس ، فالشك وسيلة الى اليقين ، وما هو بقاعدة ، ولا يمكن ان يكون غاية .

واذا كان الناس في بلادنا ـ وغير بلادنا ـ يجدون صعوبة ، وفي بعض الحالات ، استحالة في «التصديق»، فلان الحياة العاطفية ، وهي نتاج الجو الاجتماعي السائد، لا تزال تشكو ما اثار فيها الشكوك ، وابعد عنها اليقين في معظم القضايا والمشكلات الاجتماعية، وغيرالاجتماعية.

هذا يردنا الى التاكيد ان العاطفة الجمالية في ديارنا العربية مشوشة ، قلقة ، مضطربة ، والذين يخالجهم الشك في قيمة الادب ، وبالتالي في صدقه ، انمايعبرون بشكهم ذاك عن اضطراب في المفاهيم ، وعدم استقرار في النظر الى الامور ، من مختلف الزوايا والحالات .

لا اريد بذلك الدفاع عن الادب والادباء ، ولكني ابين هذه الحقيقة، وهي اثر القارىء الواعي في الحياةالادبية.

وقد يكون لافتقاد النقد الصحيح البناء ، وانصراف الناس الى الملهيات (السينما ، التلفزيون ، الخ ...) وضآلة الثقافة ، وتوزع الاهواء والاذواق بين القديم والحديث ، وتصارع المبادىء والنزعات والايديولوجيات المتنوعة ـ قد يكون لهذه العوامل كلها مجتمعة ذلك التأثير في صرف الناس عن الادب والادباء ، وحملهم على الشك في صدقه وقيمته !

الا ان هذه العوامل كلها تذوب ، ويبطل مفعولهابطلانا تاما ، حين يعتمد القارىء على نفسه ، و « يصر » على تبين المزيف من الحقيقي في كل ما يلقى اليه من فنون القول ، وانواع الادب .

وحين يعتبر كل قارىء نفسه ناقدا ، ويتدرع بالعدة اللازمة التي يتقي بها الضلال ، وتجنب مواضع الزلل ، والافادة من الاخطاء ، يصل خلال سيره فيهذه الطريق ، الى اكتشاف الحقائق حتى وراء الادب الكاذب .

المهم اذن ان يطلع الناس ، كل الناس ، وان يطالعوا ما امكنهم ان يطالعوا . وان مجرد اطلاعهم او مطالعتهم يساعدهم في مدة قليلة من الزمن ، على ادراك «فبارك» الكلام ، وما يدور فيها من اكاذيب واشياء صحيحة .

اما ان يضع الجمهور في ذهنه سلفا ان « فبركة » الادب لا تخرج سوى بضاعة مزيفة ، او مفشوشة ،بحجة ما يرشح اليه من بعض الخيالات والاوهام والاحلام ، فهذا هو الضلال بعينه ، لان وظيفة الادب الحقيقية ، حتى عند ما يكون خيالا خالصا ، كالادب المسرحي مثلا ، انما هي ان يفتح العيون على الحقائق ، والاذهان على التفكير ، والاذان على الاصغاء ... والفهم .

هذه هي وظيفة الادب . ولكن هذا الادب لا يملك ان يقوم بوظيفته على اكمل وجه ، الا بمعونة القراء انفسهم ، وتصديهم تصدي الادباء ، لبيان الحقائق والاخذ بها ، وازالة الشكوك ، وتنوير الاذهان .

عبد اللطيف شرارة

كلهم جوف

ذرات التراب شوك قديد
تموج هاوية بأكياس الحديد
ابي يبيــع الثعابين
واخي يسحق الزجاج
طعاما للثعابين
واخر في المطاف
يدق في الحوافر مسامير
يلحق بعضهم بعضا بالسياط
يلهون مع الشمس البيان
يدقون سهما فوق سهم
لسانهم براكين جوف
عيونهم خفافيش
يمضغون الزجاج
يلوكون الجيف
جوف .. جوف
والكير مثقوب خراب
كلهم جوف :
ابي وأخي واخر في المطاف
همهم بيع الحصى
يصطلون مثل جنادب الفضا
على أوهام اليراع
ويسأل الرمش عن اخر
في جداول المجرة ننحني
لا ارض ولا وطن
لا أهل ولا امل
نحاكم المدى والفراغ اليباب
وارض محدودة لا تهاب
حكم القضــاء
حكم السماء
وما حول الارض فراغ رهيب
فضاء بلا حد ولا مدى
يعود الى ذرات العناكب

أبي وأخي واخر
يحوكون بيتا من وهم اليباب
أبي ينفث في الرماد
وأخي يعد ذرات الرماد
واخر يعرج في الطريق
يطفئون الدرب بالليالي
يبصقون في وجه النهار
ينافقون على الله
يجمعون ويقسمون
حماتنا يدعون
لصوص يتاجرون
أبي يبيع الصراصير
وأخي يخبىء قرونها
ليوم عسير
ونمشي متارجحات
بين ارض وسماء
نحاكم السماء
وعدل السماء
وظلم السماء
مسيرتنا طويلة
نكسر القيد لو كان من صوب السماء
حاكه لنا الفاسقون
هم وحدهم مجرمون
أبي يلوك جلده
وأخي يعرق لحمه
واخر في المطاف
يدق في الحوافز مسامير
ويلعن الزجاج والحرير
كلهم جوف :
أبي وأخي واخر في المطاف

ثريــا ملحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الترجمة والنقل

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

حين اصدر الاستاذ احمد حسن الزيات كتاب « ضوء القمر » ـ وهو مجموعة من القصص القصيرة المترجمة لموباسان ، والفونس دوديه ، ودي مورو وغيرهم ـ كتب للكتاب مقدمة كشف فيها عن مذهبه في الترجمة ، واسلوبه في النقل من الفرنسية الى العربية ، واشار الى انه اختار مذهبا وسطا بين طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي من ناحية ، وحنين بن اسحاق والجوهري من ناحية اخرى . فلا هو الطريق الاول بما فيه من النقل لفظة لفظة ، ولا هو الطريق الثاني بما فيه من الاتيان بالجملة في اللسان الاجنبي وتحصيل معناها في الذهن ، والتعبير عنها في العربية بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها . ويقيد الزيات نفسه في الترجمة بانه لا يزيد ولا ينقص على الاصل المنقول شيئا ، ولكنه قد يقدم ويؤخر . وهذه الاشارة من الاستاذ احمد حسن الزيات تسوقنا الى الحديث عن التقديم والتاخير في عملية النقل والترجمة ، وعن النقص والزيادة فيها ، والاضافة اليها .

وحين اجاز الاستاذ الزيات في مذهبه في الترجمة ان يقدم ويؤخر ، دون زيادة او نقص ، نرى سليمان البستاني يترجم الياذة هوميروس الى العربية شعرا في احد عشر الف بيت يحرم على نفسه الزيادة والنقص ، والتقديم والتاخير ، الا فيما اقتضاه تركيب اللغة العربية، وهو في هذا متشدد اكثر من الزيات ، لانه تقيد بالاصل تقيدا تاما ، فلا يقدم ولا يؤخر ، ولا يزيد ولا ينقص . . .

وقد تضطر مقتضيات الترجمة وبعض ضروراتها ، المترجم الى اسقاط عبارة من الاصل المترجم منه ، او اضافة عبارة ليست في الاصل . ولا تنفرد بهذا لغة في الترجمة دون لغة ، ولا مترجم دون مترجم . فانك قل ان تجد الترجمات المختلفة في لغة واحدة لاثر واحد متفقة في التقيد بالاصل . فقد تصادف في بعض الترجمات اضافات لا تجدها في ترجمة لناقل اخر . وقد تلقى بعض الحذف والاسقاط في بعض الترجمات ، على حين تجدها مذكورة في ترجمة اخرى لمترجم اخر . ومن هنا كانت الترجمة عن الاصل نفسه ـ لا عن ترجمة ثانية ـ عملا ضروريا ، حتى يستطيع المترجم ان يرى بعينيه النص الاصلي في لغته الاصلية على كماله وتمامه .

اما الترجمة عن لغة ثانية غير اللغة الاصلية ، فقد توقع المترجم الثاني في المآخذ والمزالق التي وقع فيها المترجم الاول .

فمن اراد ان يتصدى لترجمة كتاب « نابليون » ـ الذي الفه اميل لودفيج بالالمانية الى اللغة العربية مثلا ، فعليه ان يرجع الى الكتاب في اصله الالماني اولا ، ويترجم عنه ان كان عارفا بالالمانية ، ثم لا باس من الرجوع الى الترجمة الفرنسية او الانجليزية او غيرهما للكتاب ، على سبيل الاستئناس فقط ، لا على سبيل الاصالة في العمل . ومن اراد ان يترجم شكسبير الى اللغة العربية ، فعليه اول الامر بالاصل الانجليزي كما كتبه الشاعر ، وكما اوحى به اليه ، والهم به . . . اما ترجمة شكسبير عن الفرنسية او الالمانية مثلا ، فهي ترجمة عن ترجمة ، ونقل عن نقل . وما اكثر المعاني وظلال المعاني ودقائق الشعور والاحاسيس التي تضيع في الطريق بين الترجمتين .

وقد وقع للشاعر خليل مطران بعض مآخذ الترجمة عن ترجمة ، حين نقل بعض مسرحيات شكسبير الىالعربية. فلم يكن الخليل يعرف الانجليزية اصلا او لم يكن يعرفها معرفة القادر على الترجمة منها ، المتمكن فيها ، فلجأ الى الترجمة الفرنسية لشكسبير ، ليترجم منها الى لغة الضاد ، وبهذا جاءت كل مترجماته الشكسبيرية ترجمات عن غير اللغة الاصلية ، ولك ان تسمي هذا النوع من الترجمة « ترجمة ثانية » ، او ترجمة عن ترجمة .

ولقد كان من السهل ان يكشف النقد عنعثرات خليل مطران في هذا الباب . فقد استعمل كلمة « موسيو » بدلا من « مستر » ، مما يدل بأول نظرة على مصدر ترجمة الفرنسي ! واسقط في بعض المواطن من رواية « تاجر البندقية » سطورا كثيرة في مشاهد مختلفة ، يعد اسقاطها خيانة لامانة الترجمة ، ونقصا في الاداء الكامل لها . ولم تكن هناك ضرورة للحذف والاسقاط ، بل كانت العبارات التي بترها خليل مطران ضرورية في الاصل لاكمال المعنى ، واتمام قصد المؤلف ، ولم تكن للاطناب المقصود به التحلية اللفظية ، والزركشية البيانية . وقد عدد الاديب الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمة ـ وهو ينقد الترجمة المطرانية ـ كثيرا من هذه المواطن المبتورة في ترجمة خليل مطران لتاجر البندقية : مثل تتمة الحديث بين انطونيو ، وباسانيو بعد ان يتركهما شيلوك في اخر الفصل الاول ، ومثل الخطاب والجواب بين « لنسلو » وابين في المشهد الثاني من الفصل الاول ، ومثل النقص في جواب برسيا لامير اراغون ، ومثل النقص في خطاب هذا الامير الذي يلي هذا الجواب ، ومثل التصرف بالحذف في الشرط الذي اخذه شيلوك على نفسه ، حتى تترك له المحكمة نصف امواله . ففي الاصل الانجليزي

---

* من كتاب جديد لكاتب المقال ، عنوانه « فن الترجمة في الادب العربي » يصدر قريبا عن « الدار المصرية للتاليف والترجمة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لتاجر البندقية شرطان : اولهما ان يعتنق النصرانية ، والثاني التوقيع في التو ... الخ ، ولكن خليل مطران جعل الشرطين شرطا واحدا ، وحذف شرط اعتناق **النصرانية . وهو تصرف ما كان يجدر بالمترجم العربي ان يلجأ اليه ، الا اذا كانت الترجمة الفرنسية التي نقل عنها مطران فيها شرط واحد كذلك .**

على ان الذي فعله خليل مطران في ترجمة شكسبير الى العربية يفعله كثير من المترجمين والنقلة في اللغات الاخرى . ويحضرنا مثال للاضافة والزيادة في الترجمة ، لا للنقص والبتر . ففي كتاب « نابليون » لاميل لودفيج يروي لنا المترجم الدقيق الاستاذ محمود الدسوقي ــ وهو متمكن من اللغتين الالمانية والعربية ، **ان الاصل الالماني فيه** هذه العبارة : « الملك اسير » ، ولكن الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب جاءت فيها هذه الجملة الوجيزة المحكمة هكذا : « وشرع الملك لويس السادس عشر في الهرب فضبط في فارين واعيد » . فزاد المترجم الى الانجليزية من عنده ما ليس في الاصل الالماني ، وما لم يكن خافيا على اميل لودفيج ، ولا صعبا عليه ان يكتبه في الاصل وهو يؤلف .. وهذه الزيادة التي تبرع بها المترجم في الانجليزية من عنده واضافها الى الاصل ، قد كان يمكن ان يجعلها في هامش **الكتاب ان كان يريد تزويد القارىء** بكثير من التفاصيل . **وقد كان في استطاعة لودفيج ان** يذكر هذا التفصيل في اصله الالماني ، ولكن القوة الدرامية التي تمدك من عبارة « **الملك اسير** » كانت آثر عنده من التفصيل) (١) .

وقد يلجأ المترجم الى البتر والحذف واهمال بعض العبارات لاعتبارات خاصة لديه ، كأن لا يؤذي شعور قومه بترجمة مطاعن ومثالب وجهها المؤلف الاجنبي ، سواء أكانت مطاعن في الدين ، ام في رسول هذا الدين ، ام في الكتاب المقدس الذي نزل عليه ، واوحى اليه به ، ام في عادات القوم وتقاليدهم واخلاقهم . فقد اضطر مترجم عربي كبير مثل المرحوم عادل زعيتر الى سلوك هذا الطريق ، وهو يترجم كتاب « حضارة العرب » لجوستاف لوبون ، ولكن النقد الشديد لم يخطئه هذه المرة ، كما لم يخطئه نقد طريقته في الاتيان ــ خلال الترجمة ــ بالالفاظ المعجمية الغريبة ، المهجورة المطمورة بين بطون المعاجم ، او التي تكاد تكون ميتة . وقد تصدى له ناقد في مجلة « الكتاب » يلومه على هذا الحذف والبتر في الترجمة قائلا : « ... راجين ان يفيدنا حضرة المعرب اذا لاحظنا هنا ان تصرفاته ، بستر اراء المؤلف حينا ، وتحويرها وتبديلها حينا اخر ، كان عملا خطيرا ، لا يشبه عمله السابق من حيث « المحافظة على دستور الامانة . فقد لاحظت ان فصل « خلاصة القرآن » الذي خطر لي ان اجري عليه المقابلة بين التعريب والاصل ، قد فقد الصورة الصحيحة التي صور بها المؤلف آراءه في القرآن ، اذ لم يبق المعرب منها في الطبعة العربية الا صورة شوهاء ، لا تعبر عن رأي المؤلف بحال من الاحوال ، بعد ان تناولها قلم المعرب نسخا وتحويرا وتبديلا . ونحن وان كنا لا نتهم المعرب بسوء القصد ، معاذ الله ، الا اننا نعتبره مخطئا ومسيئا فهم المسألة . وهذا الخطأ شائع عند الكثيرين ، وقد نشأ من توهم بعضهم ان اذاعة الاراء الحرة التي يكتبها علماء الاوروبيين وكتابهم في عقائد المسلمين ومقدساتهم ، امر خطير بالنسبة للناشئة الاسلامية وجمهور الناس ، **بحيث يستلزم الامر اما تخفيف** صدمة تلك الاراء بتحويرها ، واما حذفها تماما . وعلى هذا المنطق سار المعرب في تعريب كتاب حضارة العرب ، فبدل وغير وحور » .

وهكذا ترى ان الناقد هنا ليس على مذهب المترجم من حرية التصرف في الترجمة بحذف ما قد يصدم الشعور العام او يؤذيه . ومن رأيه ان يترجم النص كما هو ، وان تثبت اراء المؤلف الاصلي كما وردت ، على ان يترك للمترجم ــ او لغيره ــ حرية تصحيح تلك الاراء ، او رد الشبهات التي وقع فيها المؤلف ، او تفنيد الاراء التي ذهب اليها ، دون مساس بالاصل المنقول عنه او التحوير او التعديل فيه ، فان ذلك يتنافى مع امانة النقل التي تعد شرطا اساسيا في الترجمة .

وقد يكون الحذف والبتر في الترجمة لاعتبارات اخرى من الخلق ، فقد تكون بعض الاصول المترجمة مشتملة على بعض عبارات مما يخدش الحياء ، او يجرح الفضيلة ، فيرى المترجم التخلص من هذا المأزق بالحذف والنقص في الترجمة ، او بالاشارة اللبقة الذكية الناعمة ، كما اشار شاعرنا العربي الى ما كان له في مجلس خاص مع حبيب له قائلا :

وكان ما كان .... مما لست اذكره فظن خيرا ، ولا تسأل عن الخبر !

او بكناية لطيفة كما كان يفعل المرحوم احمد فتحي زغلول « باشا » في بعض مترجماته .

ويرى ناقد معاصر ان البتر والتشويه في الترجمة قد يكون عن رغبة في الاقتضاب ، او عجز عن ترجمة المتن ترجمة مستوفية لشرائط الامانة الادبية (٢) .

واكثر النقص في الترجمة يأتي من الترجمة عن ترجمة ، او ما اسميناه بالترجمة الثانية . فهي مزلق سهل ، وسبيل ميسور الى دخول النقص على النقل من لغة الى لغة . ولا شك ان النقل والتعريب عن الاصول يدل على مستوى عقلي عال في الامة الناقلة . فلا يلجأ الى الترجمة الثانية الا حين ينعدم او يندر العارفون باللغة الاصلية . ومن هنا كانت الترجمات عندنا من الالمانية والروسية قليلة جدا او نادرة ، لقلة النقلة والمترجمين عندنا من هاتين اللغتين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) من بحث بعنوان : « وفي الصميم » لمحمود الدسوقي ــ مجلة الكاتب المصري ــ المجلد ٤ ــ ص ٣٢٩ . (٢) انظر كتاب « قضايا الفكر في الادب المعاصر » ــ ص ١٠١ ــ للاستاذ وديع فلسطين .

(٣) حافظ وشوقي ــ للدكتور طه حسين ــ ص ٩١ .

ومن هنا ـ ايضا ـ نجد ان الروائع الالمانية التي ترجمت الى العربية، ترجمت عن تراجم اخرى، لا عن اللغة الالمانية نفسها. فقد ترجم الاستاذ احمد حسن الزيات رواية آلام فرتر للشاعر الالماني «جوته» عن الفرنسية التي يعرفها، لا عن الالمانية ـ لغة الرواية الاصلية ـ التي يجهلها جهلا تاما. على حين ترجم الدكتور محمد عوض محمد «فاوست» لجوته عن الالمانية التي تعلمها في المنفى بعد معرفته الوثيقة بالانجليزية.

وكذلك الشأن فيما نقل الينا من مؤلفات وقصص روسية، فانها كانت تترجم من ترجمة ثانية في الفرنسية او الانجليزية، ولم تكن عن الروسية مباشرة. وكانت القصص التي يترجمها المرحوم محمد السباعي من الانتاج الروسي، من هذا القبيل، فقد كان ينقلها عن ترجماتها الانجليزية، وكذلك نجد روائع تولستوي، ومكسيم جوركي، وتشيكوف، وديستويفسكي، وجوجول، وبوشكين، وترجنيف، وبردیانف في اللغة الروسية مترجمة الى العربية ـ عن ترجمات ثانية، اغلبها انجليزي ـ باقلام ادباء من امثال الاساتذة محمد بدران، ودريني خشبة، وعصام الدين ناصف، وابراهيم زكي خورشيد، وبديع حقي، وفؤاد سهيل ايوب، ومنير بعلبكي.

على ان النقص والبتر والتشويه في الترجمة والنقل قد يدخل الى المترجم او المعرب من ناحية اخرى، هي شر ما يبلى به المترجم، وهي ضعفه في اللغة التي ينقل عنها او عدم تمكنه منها، وفهمه لها...

وقد وقع هذا لحافظ ابراهيم شاعر النيل ـ او وقع منه ـ في ترجمته للبؤساء للشاعر الفرنسي فيكتور هوجو، فقد اخذ حافظ يترجم الرواية، وهو لا يجيد اللغة الفرنسية، ولو انه نقلها الى اللغة العربية عن ترجمة انجليزية لكان ذلك اقرب الى الصواب، واوفى الى الدقة، واشبه بالمعقول... فلقد كان ضعف حافظ ابراهيم في اللغة الفرنسية شيئا معروفا وليس موضع نزاع. والذين عاصروه وكانوا على قرب منه، كانوا اعلم بهذه الحقيقة.

وقد روى المرحوم مصطفى صادق الرافعي في مقال له بكتاب «ذكرى الشاعرين» ان حافظ ابراهيم دله بنفسه على صفحة بالجزء الثاني من «البؤساء»، وقال انه ترجمها في خمسة عشر يوما !! وانه شاهده مرة ـ في مقهى الشيشة المشهور ـ وهو يترجم اسطرا من الجزء الاول من البؤساء، ثم يخط ما ترجمه في دفتر صغير، دون حجم الكف، فاجتمعت له ثلاثة اسطر في ثلاث ساعات !! فكأنه لم يكن يأخذ الامر في الترجمة مأخذ الجد، بالاضافة الى عدم اجادته للفرنسية. وذلك مما حدا بالدكتور طه حسين ان يقول في «بؤساء» حافظ ابراهيم ان ترجمته ليست كاملة، فهو يلخص ولا يترجم، وان ترجمته ـ على ضخامة الفاظها، وفخامة اساليبها، وعلى ما لها من روعة وجمال ـ ليست دقيقة ولا حسنة الاداء... ولا تنسى ان الدكتور طه حسين من انصار مذهب مطابقة الترجمة للاصل، ويقول في هذا الصدد: (ارى ان ليس للترجمة قيمتها حقا، الا اذا كانت صورة صحيحة للاصل..) (٣).

وبسبب الضعف في اللغة المنقول منها دخل العيب الى ترجمة حافظ ابراهيم لرواية «البؤساء» من ناحيتين: الاعراض التام عن بعض النصوص، والتشويه، الذي يختلف قوة وضعفا، لبعضها الاخر، كما يقول الدكتور طه حسين.

اما العيب الثالث الذي ذكره الدكتور طه ـ وهو الاسراف والمبالغة في استعمال اللفظ المعجمي الغريب، بدلا من اللفظ المأنوس المألوف ـ فهو عيب اشترك معه فيه مترجمان اخران مشهوران، هما المرحومان: عادل زعيتر، وخليل مطران...

القاهرة — **محمد عبد الغني حسن**

وفاء

بيدي أشرت وكان موعدنا هنا
في الحقل عبر الدرب بعد المنحنى
وأجبتني لو تذكرين
غدا ستلقاني أنا
أملا يفيض على الدنى
عهدا شهي المجتنى
أنا . أنت نزرعه هنا
ليكون موئلنا غدا لربيعنا اما دنا

وأطل ... !!
لكن الربيع مضى ولم ينم الجنى
جاء الشتاء
أتى ومر وعشته وحدي أنا
كانت غمائمه تمر وكنت أحسبها منى
بسطا تزخرفها النجوم أتت لتهديها لنا
حتما ستمطرني بألف تحية لا تقتنى

قد كان موعدنا هنا يا هذه.. لو تذكرين
لكنني وحدي أنا ..
باق مع الذكرى هنا

بغداد — **صفاء الحيدري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شـــاعرة من بغـــداد

بقلم السيدة وداد سكاكيني

* * *

مثلما تفيض الصوفية من روح الفن فيض العبير من زهرة عبقة في بهجة الربيع كذلك رفت عاتكة الخزرجي في الادب كنفحة ريا من روح الشعر والسحر وتوالت على نداهــا نسمات من عبقريات بغداد فاح فيها الطيب والاريج مــن «الف ليلة وليلة» فتخيلت شهرزاد وهي بين يدي شهريار تطارحه قصصا لا ينتهي مداها في الليالي الطوال تجعل الصباح الذي يدركها سكوتا لها عن الكلام المباح .

همست في سمعها أكنت وانت تسردين على الطاغية المدلل مباهج فكرك وبدائع فنك تحسبين في لحظات الغيب من قوابل السنين في القرن العشرين ، ان بغداد لا تستطيع ان تنفض عن منكبيها خيال الرشيد وهي تضم في عصرها الحديث شاعرة ملهمة واستاذة جامعية عاشت صباها وفي حماها طالبة ادب ومعرفة تحت القباب العباسية ثم عرفتها مدارج السوربون في باريس مصعدة الى اعلى المراتب العلمية التي اهلتها للاستاذية في جامعة بلادها فكانت عاتكة في غربتها تطل على السين كما كانت تطل على دجلة في وطنها مغترفة من فيض الابداع في ادب الغرب كما رويت ادب العرب واوتيت سحر بيانه .

ما كان اروع السمر الذي ملأته يا شهرزاد بما مضى وفات من احاديثك ، ليتك تمثلت بينها ما هــو آت فــي ايامنا ، فاسمحي لي في انسياب خاطري ان انوب عنــك في الكلام على شاعرة بغداد عاتكة الخزرجي منوهــــة باسمها ولقبها ، فعاتكة صفة من صفــات الجمال التي تنسكب على ملامح الحسناء ، وعاتكة اسم قديم كريم مطيب بالبركة التاريخية ، واما الخزرجي فقبيلة غاصت في اعماق العروبة وخفقت على رمال البادية حيث نبت الشيح والقيصوم فمن اين تستطيع شاعرة عراقية حديثة ان تفر من اغوار العرب وقــد قيدها اسمان بالاصالة والجمـــال ؟

ان وراء الشخوص والارواح اسرارا لا يتخذ المرء مــن مقاييس العالم تعليلا لها لان العلم نفسه يعجز دون مغاليقها الموصدة وآفاتها البعيدة ، وعلى هذا فاني لا ارى الشاعرة الخزرجية بعين العلم لان نفسها الكبيرة وروحها الفياضة ملكت من حياة الادب سعة لا يفهم مداها الا الادب وحده ، وقد لا يكون كل موهوب او موهوبة هو ذاته بعينه فان فيه حشدا خفيا وراءه كالعين الانسانية التي نراها متلألئة في وجه يطل علينا كوجه عاتكة فهي تسلسل ازلي في اعين متابعة النظر كما نرى في حجرة المرايا المتقابلة وخلف السليقة والبصيرة في عاتكة الهام من صوفية الفــن احسته في شعرها ورايته متجليا في وقفتها الرائعة بمؤتمر بغداد للادباء هذا العام وهي تلقي قصيدتها التي جعلتها تسبيحة الهية لواجب الوجود .

كنت والجمع نصغي اليها ونرنو لطلعتهــا وتألق عينيها وملامحها فنحسب ان ترتيلة من وراء الغيب هبطت على لسان فتاة عربية من العراق جعلت الشعر في صفائــه وسموه تسبيحا لله وترنيما لنعماه .

وكان رابعة العدوية بنت ارضها راحت تنفح عاتكة في ذلك المساء الريان من ضفاف الرافدين روحا وريحانا من شطحاتها نحو الملأ الاعلى ، وما كان يدور في خيالي تلك الساعة وانا املأ نفسي واحساسي من ذلك الشعر المنساب برنيم صاحبته في القائها العذب الحنون ان العدويـــة المتصوفة تتجدد نفحاتها في بعض القرائح النسوية .

ولا يطول تأملنا في عاتكة لو لم نسمعها او نعرفها ، فان كل ما فيها يدل على انها شاعرة من قمة راسها الى اخمص قدميها ، فسمتها وصوتها وكلامها ونغمها حتى خصالها وسلوكها في الحياة يدهنا بأنها ذات سليقة خاصـــة وقريحة انطقتها بشعر الانثى وشعورها ، وجعلتها تعرف حق نفسها عليها فقالت الشعر على سجيتها نضاحــا بفنها وعروبتها حاملا نضرة شبابها وقلبها كاشفا عن ذاتها ومزاجها تلقاء الطبيعة والانسانية في الغربة والوطن ، وفي المودة والحنين .

وحين يدرس هذا الشعر ويقارن بشعر المعاصريــن والمعاصرات لعاتكة لا بد ان يراه الناقد المتجرد والاديب الباحث وجدانيا كلاسيكيا ، فأسلوب الشاعــرة علـى الجزالة العربية المأثورة ومعانيها ولمحاتها تجمع بين القديم والحديث في تمكن ووضوح وغزلها الرفاف الذي ينبع من نفسها ببراءة وصفاء يدل على صدق شعورهــا وتأبيها على الابتذال والتهافت شأن بعض الشاعـــرات الغزلات اللاتي يصطنعن اللين والدلال في الاداء والالقاء .

ولقد عرف ادبنا الحديث شعر عاتكة التي تجافت عن الضوضاء وآثرت المضي في سليقتها وما زودتها به مــن ثقافة رفيعة حتى تبرز بعد ديوانها « انفاس السحر » بما يرضي الهامها وطموحها (١) ، وكان عالم المستشرقين في الغرب على علم بما أوتيت هذه الشاعرة الاديبة من سحر البيان فلما اغتربت للدكتوراه من السوربون وعرفها عن قرب استاذها «بلاشير» قدر فيها تغذية شعورها بمعرفة عميقة للغتها وثقافة واسعة لموهبتها وخصائصها حتــى راعه منها وهي المرهفة الاحساس دابها فيما يقتضـي التحقيق العلمي من صبر على المراجعة والمقارنة وادركته

(١) ظهر كتابها « لالاء القمر » منذ شهرين متألقا بشعرها الملهم وسأتناوله بدراسة وتحليل .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نعمة الحرمان

جربي الحرمان يا من عودت
واخفضي زهو جناح ساحب
واعرفي ان ثرت ، يا معبودتي ،
وتفيئي ، ان همى الدمع ، الى
مقلة ترنو حنانا ضارعا
كل انثى دون ضعف آسر

ان يكون النجم ادنى مأرب
ريشه فوق عروش السحب
كالبراكين لظى ، ان تقلبي
صدري الحاني كطفل مذنب
وفما يذرو غمام العتب
هي عندي امرأة من خشب !

لا تكوني ، في الهوى ، يا حلوة
ودعي الجبر وما لونه
وتذوقي الهم اشهى خمرة

ارتجيها ، من ضحايا الكتب
واشكري من شاء ان تكتئبي
من عناقيد الاسى والغضب

انا من اجلك اقسو ... صدقي
هبة الاقدار للملهم ان
ويذوق الوجد اشهى قلق

اغرب القول ولا تستغربي
يعرف الغم وليل التعب
مبدع ، في دمه منسرب

ينضج العنقود ان لوحه
وكذاك العود يعطي طيبه
اسبلي الهدب لرحلات على

الق الفجر وجمر المغرب
حينما يغدو طعام اللهب
غيمتي ... ان شئت ان تقتربي !

فؤاد الخشن

البشاشة والطمأنينة حين وجد تلميذته الشاعرة تعكف بثقة ومقدرة على ديوان الشاعر العراقي الغزل « العباس بن الاحنف » فتؤثره بعنايتها ودراستها لتخرج منه بمؤلف قيم لابن وطنها المنسي يكشف عن نبوغه وغاياته . وشرحت عاتكة شعر العباس وحققت في المخطوط منه والمطبوع حتى اخرجته على النسق العلمي المنشود اقرب ما يكون الى السداد ، فاثبتت ان في طاقة الاديبة الموهوبة ان تجري مع الجامعيين الموهوبين في بعث التراث وتجديده ولو كانوا من الكتاب او الشعراء .

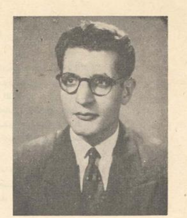
ويبدو ان روح « جان جيرودو » قد خامرت خواطر عاتكة حين صنعت مسرحيتها الشعرية « مجنون ليلى » وهي تعلم ان شوقيا قلا ملأ البيد بهذا النشيد واحله في مقاصير الحضارة بمسرحيته البليغة التي عرضت بدار الاوبرا في القاهرة وجيرودو لما صنع روايته المسرحية « امفتريون » رقم ٣٨ كان يعلم ان سبعا وثلاثين رواية ودراسة قامت على ذلك الاثر التمثيلي عند الاغريق فما ابدع في صنعه جديدا وانما كسا الروح الاصيلة رداء يلائم ذوق العصر وطبع الجمهور ، وكذلك صنعت عاتكة الخزرجي في مسرحيتها الشعرية « مجنون ليلى » ولو ان في المجال متسعا لعقدت مقارنة بين عملها وما سبق اليه شوقي شاعر هذا العصر .

ولعاتكة مسرحية ثانية هي (علية بنت المهدي) والشاعرة العراقية اذ تتكلم عن هذه الفاتنة العباسية تبعث من الرميم اخت هارون الرشيد التي كانت زهوة عصرها وقد استطاعت من خلال الستور والقيود ان تتنسم الحب كما شاء هواها وان تترك في اغاني ابي الفرج صوتا من المئة المختارة صورت فيه جحيم الغرام حتى جاءت عاتكة في ايامنا واطافت بالفاتنة المرحة في أفياء الكرخ وعلى ضفاف دجلة حيث كان الرشيد ينحدر في زورقه المترف تحت اضواء القمر وفوق ارجوحة الماء .

ومنذ عرفت عاتكة الخزرجي ونازك الملائكة وخديجة الحديثي وراجحة امين ومقبولة الحلي وغيرهن من اديبات العراق في آثارهن القيمة ادركت ان عهدا جديدا في ادبنا الحديث قد اشرق من العراق المتوثب ، واذا كانتعبقرية الاغريق قد انحدرت من قمة الاولمب فان نبوغ الاديبات العراقيات قد شع من صميم الاصالة العربية التي ما تخلت عن الموهوبات منذ نبغت « شهرزاد » .

ولن يغلق التاريخ كتاب الف ليلة وليلة على دفتيه فان الوف الليالي والليالي ما تزال تشرق على بغداد مضمخة بعطر غابرها متألقة في وهج الحضارة العربية المعاصرة .

دمشق **وداد سكاكيني**



محمد رجب البيومي

الاصالة في شعر الطبيعة بالاندلس

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

كان من المسلمات البدهية لدينا في عهد التلمذة بالمدرسة الثانوية والكلية الجامعية معا ان الشعر الاندلسي قد برع في وصف الطبيعة براعة لا يقاس بها غيره ، وأن جمال الاندلس بجبالها الخضراء وسهولها اليانعة وجداولها المترقرقة ، ورياضها المخضلة وترفها الناعم المريح كل ذلك قد الهم الشعراء ما لم يلهم به بلد اخر من البلاد العربية في المشرق ! ثم مضت بنا الايام على هذا الاعتقاد ، ونحن نقرا ما لدينا من شعر الطبيعة بالشام والعراق وغيرهما فنجده لا يقل براعة عن شعر الاندلس ! ثم نعود الكرة الى شعر الطبيعة بالاندلس فنعجب بكثرته النسبية ، ولكننا نتساءل اي اعجاز مكين قد ارتفع به عن شعر الشرق في نظر الباحثين فلا نكاد نجد من القلائد المعجزة ما يطمئننا الى ما نشانا عليه في ازمنة الدراسة !! ايكون لدى هؤلاء المؤلفين من مدرسيين وجامعيين ما ليس لدينا من النصوص ! هل عندهم من مخطوطات الاندلس ما يملكون الفصل به في قضية لا يتيسر لنا الحكم فيها على وجهها الصحيح !! ولكنهم حين يستشهدون على براعة الاندلس البارعة في الشعر الطبيعي ، لا يأتون لنا بما نجهل من القصائد ! فأشعارهم المختارة شائعة ذائعة ، ونحن قد اطلنا الوقوف امامها اطالة مفرقة فلم ترتفع بنا عن ارض الشرق الى سماء ذات صور وتهاويل !! ايكون الفرق بين شعر الطبيعة في الاقليمين ضئيلا محدودا كما نراه ويكون هؤلاء الدارسون الافاضل قد وقعوا تحت تأثير استنتاج مخطىء اتى به باحث متقدم فتلاه اللاحقون!

لقد مكثنا نتردد في الجزم بقول فاصل ، حتى وجدنا استاذنا الدكتور احمد امين ينشر بحوثه المعروفة بمجلة الثقافة عام ١٩٣٩ عن جناية الشعر الجاهلي على الادب العربي فيتعرض لشعر الطبيعة بالاندلس كي يقول فيه عن الجزء الثاني من فيض الخاطر ص ٢٥٨ اذ جمعت به هذه المقالات

« لقد كانت الاندلس اغنى بقاع المسلمين منظرا ، وأوفرها جمالا ، وابدعها الخالق ايما ابداع ، وصاغها خير صياغة ، ولونها اجمل الالوان ، فلا يستطيع من يراها الا ان يغنى ، ولا من شاهدها الا أن تفتنه ، ومن الحق ان شعراءها غنوا اكثر من غيرهم ، وتفننوا في ذكر محاسن الطبيعة ايما تفنن ، ونبغ فيهم امثال ابن خفاجة الملقب بشاعر الطبيعة ، ولكني لا اكتم القارىء اني قرات كثيرا من شعره ، وشعر غيره من الاندلسيين ، فكان شعوري نحوهم انهم اجادوا الصياغة ولم يوفقوا ان ينفخوا الروح ، شعرهم تمثال بديع لا حياة فيه الا في القليل النادر ، شعرهم من راسهم لا من قلبهم ، اكثر جهدهم موجه الى البحث عن تشبيه رائع ، واستعارة بديعة تعجب علماء البيان لا نتيجة شعور يتدفق ، يريد ان يحضن الطبيعة لجمالها ، ولا هو صرخة اعجاب خرجت من اعماق القلب في بساطة فطرية ، ولا هو تمجيد للجمال وتقديس لمناظره ، يخر امامه الشاعر ساجدا ولا هو احساس من الشاعر باندماج الطبيعة في نفسه واندماج نفسه في الطبيعة حتى كأنه هو وهي او هي وهو وحدة لا انفصام لها ، ولا هو شعور بحياة الطبيعة وقوة نبضها كما ينبض القلب ، ولا هو شعور الظمآن يريد ان يرتوي ولا يرويه الا جمال الطبيعة ثم هو يعل منه وينهل ، وكلما عب ازداد لذة وازداد ظمأ .

لا شيء من ذلك ! وان عثرنا على شيء فهو القليل النادر الذي لا يروي ظمأ انما اكثره من قبيل الخيال المصطنع يتعمق فيه الشاعر ، ليظفر باستعارة او يسبح في الافاق ليأتي ببعض المحسنات البديعية » .

صادف كلام الدكتور أحمد امين في حينه هوى لدى نفسي ، ولكن نفرا من كبار الباحثين قد تصدوا لمعارضته فحاولوا ان ينقضوا وجهات كثيرة من انظاره المختلفة ، وقد تعرض الدكتوان عبد الوهاب عزام بالثقافة وزكي مبارك بالرسالة للتعقيب على ارائه في الادب بعامة ومن بينها ما يتصل بشعر الطبيعة الاندلسي ، وننقل هنا طرفا مما قاله الدكتور مبارك ، لنستطيع بعد ذلك ان ننصف شعر الطبيعة الاندلسي على ضوء الاختلاف المتباعد يمينا وشمالا في الاراء . قال الدكتور زكي ــ عن مجلة الرسالة العدد ٣١٩ سنة ١٩٣٩ :

« هل من الحق ان الاندلسيين لم يحسوا الطبيعة ولم يتذوقوها ، كما قال احمد امين ! ان المعروف عند جميع

ادباء اللغة العربية ان الاندلسيين تفوقوا في وصف الطبيعة فكيف تفرد احمد امين بنكران ذلك ؟ ايكون اعلم الناس بالادب ولا نعرف ! هذا والله اعجب العجب ..!... ان الادب الاندلسي قد تعرض للضياع منذ اجيال فلو قلنا ان ذلك الادب ضاع منه اكثر من تسعة اعشاره لما بعدنا عن الصواب ، ومع ذلك بقيت اثاره تشهد بان العرب في الاندلس احسوا الطبيعة والوجود احساسا قليل النظائر

معاذ الادب ان نفهم الطبيعة كما يفهمها احمد امين فنظنها مقصورة على الشجرة والزهرة ، انما الطبيعة كتاب الوجود بما فيه من حجر ومدر وشجر ونبات وماء وجماد والطبيعة الشاملة تظهر بعظمتها وجبروتها ممثلة ناطقة في اكثر ما كتب الاندلسيون ولو شئت لقلت انهم بالغوا في ذلك حتى قاربوا الاسفاف ، فهل كانوا يعلمون من وراء الغيب انه سيجيء في اواخر الزمان من يتهمهم بالغفلة عن تذوق الطبيعة والوجود » !

ثم اخذ الدكتور يستشهد بابيات اندلسية في الطبيعة لا نظنها بعدت عن مثل الدكتور احمد امين ، فهي من الذيوع والسيرورة بحيث يعرفها اكثر القراء ! ولكن اختلاف الرأي بين الباحثين الكبيرين قد نشأ من نقطة واحدة ، هي ما ينبغي ان يتسم به شعر الطبيعة في الادب العربي ! وبايضاح هذه النقطة الهامة ينكشف مقطع الرأي دون نزاع ! قرأ الدكتور أحمد امين نماذج كثيرة للشعر الاوروبي في الطبيعة فرأى ان اكثر المناظر الطبيعية في الغرب لدى شعرائه الكبار توحي بمعان رائعة في وحدة الوجود وتناسقه ، وتلهم أفكارا حية عن الزمان والمكان والحب والخلود والماضي والحاضر والازل والابد فالشلالات المنحدرة في تدفق ، والبحر الممتد في سعة وعمق والغابات ذات الشجر الملتف والطير المفرد والجبال المتوجة بالثلوج كل اولئك مما يلهب خيال الشاعر الاوروبي فيقبس منها بوارق الابداع ويخلع عليها من ذات نفسه فيراها ذوات ارواح واصداء واصوات ، ويتخيل لها تاريخا حافلا يمتلىء بالفرح والالم والنشوة والحسرة والصعود والهبوط والتقدير والانطلاق ، كما ان الشعر العربي يقف عند المعنى الجزئي ، فاذا وصف طائرا او زهرة ، جعل يترصد الوان التشبيه ومناحيه في الراس والجناح والريش لدى الطائر وفي الكم والاريج واللون والورق لدى الزهرة ، مكتفيا بذلك عما يفيض فيه الشاعر الاوروبي من الاهتمام بالجوهر الكلي والاطار الشامل مظهرا فلسفة الفكرة آنا ورقة الهمس والحنين آنا اخر مما يفاجىء القارىء باحساس جديد ، تمور به نفسه دون ان نرهق فكره بمختلف التشبيهات الذهنية والتحاسين اللفظية التي نجد كثيرا منها في الشعر العربي ! هذا الى ان شعر الطبيعة في الادب العربي مشرقا واندلسا — لا تنفرد فيه الطبيعة بالموضوع غالبا ، فهي تأتي في قصيدة المدح او الرثاء او الغزل استطرادا ، فالشاعر ينظر اليها معجلا فيلم ببضعة ابيات ثم ينتقل الى ما يريد ! فوصف ابي تمام للربيع في قصيدته الشهيرة :

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حلية يتكسر
نزلت مقدمة المصيف حميدة ويد الشتاء جديدة لا تكفر

وابيات ابن الرومي :

حيتك عنا شمال طاف ريقها بجنة نفحت روحا وريحانا
هبت سحيرا فناجى الغصن صاحبه سرا بها وتداعى الطير اعلانا

كل ذلك وعشرات من امثالها جاء في قصائد المديح عرضا ومثله في الاندلس كثير من شعر ابن هانىء وابن حمديس وابن زيدون ! اما ان تكون الطبيعة ذات استقلال خاص بالقول فهو ما لم يظهر بكثرة كاثرة الا عند بعض الشعراء في البلاط الحمداني كالصنوبري والنامي وكشاجم والسري الرفاء ! وهو بعد لا يتجاوز الابيات القليلة فليس يصدر عن نفس جياش تتدفق يرسل القول ارسالا كما ينحدر الماء من اعلى الجبل الى منحدر السفح ! اما الشعر الغربي فالطبيعة ذات حيز كبير مستقل ترى من الاهتمام بها لدى الشعراء ما يوحي بعظم تأثيرها الخالب ! حتى ان شعراء الملاحم وشعراء المسرح لا يعفون اثارهم الرائعة من الوصف الطبيعي ، ويرون في الافتنان بالطبيعة ما يضفي على الملحمة البطولية والمسرحية التمثيلية بهجة ومتعة ! مع اتساع الشعر الغنائي لتصويرها والافتنان بجمالها كل الافتنان ! وهذا ما يطلبه الدكتور أحمد امين في الادب العربي فلا يجده ، وكان يأمل ان يرى في ادب الاندلس ما يشير اليه ان عز ان يجد ما يشابهه فلم يقع على شيء ! وهذا ما دعاه الى نقد الاندلسيين .

اما الدكتور مبارك فلا يريد ان يخلط الادب العربي بغيره ! فاذا كان شعراء الاندلس قد اكثروا القول في شعر الطبيعة فقد قاموا بجهدهم المشكور وزاحموا المشارقة وربما تفوقوا عليهم في الكثرة الكمية ! وهذا وحده ما يجيز للدكتور ان يباهي بما قالوه ! وان يعنف في نقد الاستاذ احمد امين عنفا كان الاجدر الا يكون !

على اننا بعد ذلك نتجه الى صميم الموضوع فنسأل اكان شعر الطبيعة في الادب الاندلسي موازيا لاخيه المشرقي في القيمة الفنية لم يكد يزيد عنه شيئا ام انه احتذاه بدءا ثم استطاع ان يسير في طريق التقدم الابتكاري خطوات وئيدة ؟ واذ فعل ذلك فالى اي امد سار ؟ اننا اذ نجيب عن هذا السؤال انما نقدم للقارىء ما يفيد !

من الخطأ الذي يقع فيه ارباب الموازنات بين الادبين انهم يجعلون جميع ما قاله المشارقة يقف امام ما قاله الاندلسيون ! ونسوا بذلك شيئا واضحا هو ان عمر الاندلس الادبي اقل بكثير من عمر المشرق ! فالادب الجاهلي مثلا ادب مشرقي وادب صدر الاسلام وعصر بني امية ادب مشرقي وادب السنين الاولى لعهد بني العباس ادب مشرقي ايضا ولكنها كلها لا تدخل في باب الموازنة ! لامر واضح هو ان ادب الاندلس الى اوائل عهد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بني العباس لم يكد يولد بعد ! وعلى ذلك فهو حفيد لما تقدمه من اداب هذه العصور ، واذا اردنا ان نقيم موازنة بينه وبين ادب مشرقي فلتكن الموازنة مع ادب حفيد مماثل اما الاداب السابقة فهي اباء واجداد للادبين معا ، ولا يليق في باب الموازنة العادلة ان يذهب بفخر هذا الميراث الحفيل حفيد دون حفيد ، فاذا كان لدينا من جدة متأصلة في شعر الطبيعة جاهليا وامويا فهي مما لا يندرج في حساب احد ! وانما الذي نسأل عنه اذ ذاك هل نمت هذه الجدة في ادب ما فواصلت سيرها المنتظر او ان الجمود قد وقف بها دون الاطراد ! في هذه الدائرة المحددة نسير !

وإذا كان من المتعارف عليه اصطلاحيا – ولا مشاحة في الاصطلاح – ان ادب الطبيعة يشمل الطبيعة الحية كالحيوان والطير والطبيعة الصامتة كالنبات والجبال والحدائق والغابات والبحار والسماوات أو بعبارة اخرى يشمل ما سوى الانسان مما يرتسم في صفحة الحياة ! فاننا حين نتصفح الشعر العربي نجده في عصري الجاهلية والاسلام قد اهتم بالطبيعة الحية اكثر من اهتمامه بها فيما بعد !! فتحدث الشعر الجاهلي حديثا مطيلا عن حيوانات البادية من ناقة وفرس وذئب وكلب ! وشاركه الادب الاموي اهتمامه بحيوان البيئة وطيرها ، وان قل الحديث عن هذه الطبيعة الحية نسبيا في الادبين الاندلسي والعباسي معا !! ويجب ان نفرق هنا بين نوعين من الشعر في الطبيعة الحية !! النوع الاول وهو ما نعرف بالوصف ، ذلك الذي يقف عند الاعضاء والملامح والاجزاء فيصورها تصويرا جزئيا حسيا ! وهو موفور كثير في كل ادب ! حتى في اداب عصور التدهور والانحطاط على نسبة بين الجودة والرداءة ! اما النوع الثاني وهو الذي يبعد عن الوصف الحسي الى الحديث عن الخواطر والشجون لدى الطير والحيوان ! فقد بدات ظواهره في الادبين الجاهلي والاموي ، وكان الظن بها ان تنمو في الادبين العباسي والاندلسي ولكنها تحجرت او كادت في الطبيعة الحية ! واكتفى الشعراء برسم الظواهر الحسية مما يقف عنده البصر وحده وهو مما عيب على الادب العربي بعامة ! والحق ان الشاعر الجاهلي كان اصدق فطرة واخلص طبيعةمن ذوي الثقافاتالبيانية والتوليدات الذهنية في عصور الصنعة والاحتفاء ! ان الشنفرى مثلا يصاحب الوحش في البيداء بروح انسانية ، ويقول عن اصدقائه من العجماوات « هم الاهل لا مستودع السر عندهم بذائع » ثم تأخذه الرحمة بالذئب فيتابعه حين يلتمس القوت فلا يجده ، واذ ذاك يعوي فتخف اليه الذئاب عاديات مسعدات فاذا اقمن المناحة ورأين عدم جدواها في الشبع والري لجأن الى الصبر والاستسلام ! كم كان جميلا من الشنفرى ان يتابع هذه المخلوقات الجائعة ثم يتعاطف معها فيقول :

فلما لواه القوت من حيث امه   دعا فاجابته نظائر هزل
فضج وضجت بالبراح كانها   واياه نوح فوق علياء ثكل
عوى وعوت ثم ارعوى بعد وارعوت   وللصبر ان لم يسعف الشجو أجمل

ثم نجد هذا التعاطف يتقدم خطوات اخرى في العصر الاموي اذ يركب الاعرابي ناقته فيسمعها تحن ، ولم تسر بعد كثيرا حتى تتعب ، فيدرك انها تعالج من الشوق ما يعالج ، ويراها غريبة مثله فلا بد ان يسعد الغريب الغريب ! ثم ينقلب هذا التعاطف بين الانسان والحيوان الى ايثار يصدر عن محبة واخلاص ، فيود الاعرابي لو خلص قلبه من الشوق ، فيهديه الى ناقته ليساعدها على الحنين ! ولله هذا الايثار السمح وهذا الشعور الرائع يجيش به بدوي فطري فيسامى اعظم شعراء الوجدان حين يقول :

دع المطايا تنسم الجنوبا
ان لها لنبا عجيبا ... !
حنينها وما اشتكت لغوبا
يشهد ان قد فارقت حبيبا
ما حملت الا الفتى كئيبا
يسر مما اعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لنا قلوبا
اذن لآثرنا بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

وشاعر كالفرزدق ليست تشيع الرقة العاطفية بين ما عرف من اشعاره ، ولا فيما تنوقل من اخباره بل ربما كان الى كثافة الحس ، وهمود الشعور وغلظة الطبع اقرب من نظرائه ! ولكنه يتحدث عن الذئب مرتين فينبجس قلبه عن رقة لا نعرفها لديه ان الشاعر الذي افتخر بانه لم يبك على زوجته كجرير حين لحقت بالفناء فالمرأة اهون من ان يبكي عليها رجل !

واهون مفتود اذا الموت ناله   على المرء في أصحابه من تقنعا

هذا الجامد الصارم يجد ذئب الصحراء دانيا من طعامه، فيقاسمه زاده ، ويصيح به في مودة !

تعش فان عاهدتني لا تخونني   نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما   أخيين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى   اتاك بسهم او شباه سنان

ثم يتحدث عن موقف اخر مع ذئب استضافه في مكان يعرف بالغريين فيقول :

وليلة بتنا بالغريين ضافنا   علىالزاد ممشوق الذراعين اطلس
تلمسنا حتى اتانا ولم يزل   لدن فطمته امه يتلمس
ولو انه اذ جاءنا كان دانيا   لالبسته لو أنه كان يلبس
ولكن تنحى جنبه بعدما دنا   فكان كقيد الرمح بل هو أنفس
فقاسمته نصفين بيني وبينه   بقية زادي والركائب نعس
وكان ابنليلي اذ قرى الذئبداره   على طارق الظلماء لا يتعبس !

هذا الانجذاب العاطفي نحو الحيوان والطير مما يندرج في باب الطبيعة الحية قد انقطع او كاد فيما تلا العصر الاموي من عصور ، فالبحتري يتحدث عن الذئب كما تحدث الفرزدق ، ولكن لا نجد من التعاطف والرحمة ما هو جدير بشاعر كالبحتري بل نجد من الافتعال والتلفيق

ما ينبىء عن عاطفة متحجرة سمحت له ان يقول :

طواه الطوى حتى استمر مريره … فما فيه الا العظم والروح والجلد
سمالي وبي من شدة الجوع ما به … ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد
فاوجزته خرقاء تحسب نصلها … على كوكب ينقض والليل مسود
فخر وقد اوردته منهل الردى … على ظما لو انه عذب الورد
وقمت فجمعت الحصى واشتويته … عليه وللرمضاء من تحته وقد
ونلت خسيسا منه ثم تركته … واقلعت عنه وهو منعفر فرد

والشريف الرضي ذلك العربي العلوي الهمام ينحو منحى البحتري فيقول عن ذئبه :

ولما عوى والرمل بيني وبينه … تيقن صبحي انه غير راجع

وهكذا تفتش عن ادب الحيوان والطير في شعر بني العباس والاندلسيين ومن وليهم فلا تجد غير الوصف فقط مما لا يستثير العواطف ، او يكشف عن التعاطف والتآلف ! ولدينا قصائد عباسية كثيرة في الحيوان لعشرات من الشعراء ! ولكن قصاراها ان يتجه وجهة المتنبي - شرقا - حين قال في اسد البدر بن عمار :

أمعفر الاسد الهزبر بسوطه … لمن ادخرت الصارم المسلولا
ورد اذا نزل الجزيرة شاربا … ورد الفرات زئيره والنيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا … تحت الدجى نار المجوس حلولا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه … فكأنه آس يجس عليلا

او تتجه وجهة ابن حمديس بالاندلس حين يصف الاسد فيقول :

هزبر له في فيه نار وشفرة … كما يستوي لحم القتيل على الجمر
سراجاه عيناه اذا اظلم الدجى … فان بات يسري باتت الوحش لا تسري
يصلصل رعد من عظيم زئيره … ويلمع برق من حماليقه الحمر
له ذنب مستنبط منه سوطه … ترى الارض منه وهي مضروبة الظهر

فمع جمال هذا الوصف الرائع لدى المتنبي وابن حمديس وعشرات ممن يردون موردهما في الاهتمام بالهيكل الظاهري دون اتساع النظرة الانسانية وشمولها فاننا نرى أن شعراءنا العرب قد وقفوا عند الصورة البصرية موقفا كان من الحسن ان يتجاوزوه وهذا شأنهم جميعا - باستثناء ابي العلاء - في شعر الطبيعة الحية شرقا وغربا ! على ان الحمام قد فاز بنصيب كبير من القول ! فكل عاشق تهيج لواعجه صدحات الحمائم ! فيعبر عن شجونه مستطردا الى وصفها ! وادب الحمائم اكثر من ان يحصر ، واوضح من ان يدل عليه ، وهو على درجة قريبة من التشابه بين المشرق والمغرب فاذا قال الشاعر الشرقي :

الا يا حمام الايك الفك حاضر … وغصنك مياد ففيم تنوح
أفق لا تنح من غير شيء فانني … بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب … فها انا ابكي والفؤاد جريح

قال الشاعر الاندلسي :

الا يا حمام الايك مالك باكيا … وغصنك نضر والجناب مريع
تغن ولا تشج فالفك حاضر … قريب والفي غائب وشسوع
وقلبك خلو من تباريح لوعتي … وقلبي بلوعات الفراق صديع

والاحتذاء هنا واضح سافر !! وهو مما لا يحمد للمتأخر اذا صدر عن رغبة التقليد لا عن تجربة توجب التنفيس ! وشعر التجربة الصادقة لا يخفى ، ففيه من حرارة الانفعال ، وتوهج العاطفة ، وكمون اللوعة ما لا يخفى على البصير ! لقد كان ابو فراس الحمداني اسيرا في بلاد الروم ، يبعث قصائده الى ابن عمه كي ينهض الى فكاكه متوسلا شاكيا ، ثم طرق سمعه ترجيع ورقاء هتوف تنوح دون ان تذوق من طارقات النوى ماذاق الامير الشاعر ! ولكنها وهي الطليقة السراح تبكي وتنحب دون المكبل الاسير ! فانطلق ابو فراس يبثها الشجن ،ويخبرها عما تجهل من امره ، ويهتف في آهة هادئة مشجية :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة … أيا جارتا لو تعلمين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى … ولا خطرت منك الهموم ببال
اتحمل ممزوق الفؤاد قوادم … على غصن نائي المسافة عال
أيا جارتا ما انصف الدهر بيننا … تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدي ضعيفة … تردد في جسم يعذب بال
أيضحك مأسور وتبكي طليقة … ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة … ولكن دمعي في الحوادث غالي

هذا ابو فراس بالمشرق ! اما المعتمد بن عباد بالاندلس فأشد منه لوعة ، واعظم مأساة لقد حبسه يوسف بن تاشفين بالعدوة ولم يرحم ملكه الضائع ومجده السالف وبلاءه المشكور في موقعة الزلاقة حين تلاقى الجمعان ،بل زاد فقيد يديه وقدميه وارهق زوجته واطفاله بما يقصم الظهور بعد نعيم وارف وعز حافل ومجد سعيد ! ولم يجد الملك الاسير غير الشعر يبثه حنينه ويودعه شكواه . وقد عبرت به اسراب القطا طليقة غير مقيدة فتمنى ان يكون مثلها يسرح في فضاء الله دون ارهاق ولحقه شعوره الشاعر فدعا لها بالصيانة والعصمة ولافراخها بالماء والظل فان افراخه لا يجدن منهما شيئا ! ونفس عن صدره بهذه الزفرة ذات اللهيب الحبيس :

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي … سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم يك والله المعيد حسادة … ولكن حنينا ان شكلي لها شكل
فاسرح لا شملي صريع ولا الحشا … وجيع ولا عيناي يبكيهما ثكل
هنيئا لها ان لم يفرق جميعها … ولا ذاق منها البعد عن اهلها اهل
وان لم تبت مثلي تطير قلوبها … اذا اهتز باب السجن او صلصل القفل
لنفسي الى لقيا الحمام تشوف … سواي يحب العيش في ساقه حجل
الا عصم الله القطا في فراخها … فان فراخي خانها الماء والظل

هذه التجربة الصادقة لا يمكن ان تكون تقليدا لابي فراس ! وانما هي شعور انساني صادق يهتز به اديب حساس ، وهي بعد نموذج جيد لما تفتقده من اواصر التعاطف بين الانسان والطائر في ادبنا العربي ! واي تعاطف حي ابلغ من قول الملك الاسير :

الا عصم الله القطا في فراخها … فان فراخي خانها الماء والظل

وبعد فلقد طال تطوافنا حول ادب الطبيعة الحية في المشرق والاندلس ، وانتهى بنا المسير دون ان نجد بهما ما يصلح ان يكون نماء طبيعيا لبذرة الشعر الجاهلي ذات التعاطف الانساني الشفيق !. وسنبحث عن ادب الطبيعة الصامتة في الاندلس لنرى مداه في الطرافة والتجديد .

الفيوم - دار المعلمات　　　　**محمد رجب البيومي**

ARCHIVE archivebeta.sakhrit.com

ندوة القصاص

☆ ☆ ☆

سير البطولة دون كل كتاب ... قبس يشع على المدى كشهاب
تجلو دياجير الدجى بجلائل ... لمرؤة خلصت عن الاوشاب
وتصيغ نصر الفاتحين قلائدا ... وملاحما تروى على الاحقاب
أرجت بأنفاس المحدث ندوة ... عصفت بسمار لها وصحاب
عريت عن الاثواب فهي فقيرة ... في عريها من مئزر وثياب
وتجلببت بقناعة وتعفف ... سترت خصاصتها بالف نقاب
خلع الوقار على ذراها مطرفا ... من سؤدد لم يتنقص بمعاب
عريت فزيدت في النفوس مهابة ... كالسيف عريانا بغير قراب

سمارها قبس المرؤة مشرقا ... في مدلهم عاصف كعباب
نكسوا الرؤوس وأرهفوا لمحدث ... بالسمع من شغف ومن اعجاب
يتشوفون وكل جارحة لهم ... اذن تصيخ بلهفة وتصابي
هم الجموا بالصمت غرب لسانهم ... وتزينوا بالحلم والاداب
طابت شمائلهم وفاح عبيرها ... بأريج احسان ونفح شباب
ما كنت تأخذ واحدا في ذلة ... تزري به وتناله بعتاب
يتخاطبون بأعين ما بينهم ... واشارة قامت مقام خطاب
وكأنهم في صمتهم ووقارهم ... متخشع في عدوة المحراب

وترى المحدث بينهم مسترسلا ... بحديثه في الشرح والاسهاب
يتلو اساطير البطولة معربا ... بلسان صدق معرب كشهاب
وكأنه فيما يقص مرتل ... يتلو على السمار آي كتاب
فتن الرجال فكل عين دونه ... مطروفة بهواجس المرتاب
حسبوا الخيال حقيقة فنفوسهم ... من ريبة عصفت بجنح عباب
يترنحون كما ترنح شارب ... ثمل وليس بهم خمار شراب
صاغت هواجسهم لهم كذب الرؤى ... متعا تثير هواجس الالباب
وبودهم لو كل جارحة لهم ... عين لتنعم برهة بسراب

أوليس عن قبس البطولة شاهد ... في ندوة القصاص للاحباب
في كل زاوية لها من قصة ... خبر يشوق سماعه كرباب
وبكل ركن تستجد زمازم ... لصليل اسياف وجهش حراب
زخرت مجاليها بلاعج صبوة ... من حلو اشواق ومر كتاب
من دونها صوت القرون مجلجل ... ملء الشعاب ودون كل شعاب
ينبي بكل عظيمة عن غابر ... ببيان صدق لم يشن بكذاب
في مسمعي صدى يجلجل عاصفا ... كالرعد في قصف وفي تصخاب
وأرى بعين هواجسي قتم الوغى ... مدت سرادقه بجنح غراب

في كل ملحمة يروعك عالم ... طلعت فوارسه بحمر ثياب
تبلى الليالي دونهم وشبابهم ... متجددا ابدا على الاحقاب
غزوات (عنترة الفوارس) حية ... كالدهر ليس شبابها لتباب
وغرامه شرف الرجولة لم يشن ... يوما بشائبة وسوء معاب
ما كنت تدري قلبه ام سيفه ... أمضى وانفذ فتكة برقاب
في سيفه عز الحمى وتأشبت ... أعطانه كمعشش لعقاب
وبشعره عز البيان وأشرقت ... درر البلاغة دون كل حجاب

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

يقال ان الفلسفة الافريقية القديمة انتهت بفلسفة الشك وان الفلسفة الغربية الحديثة بدات بفلسفة الشك ، وتفسير ذلك ان الفلاسفة الاغريقيين في بادىء امرهم كانوا طبيعيين يبحثون في حقيقة هذا الكون وفي المادة الاولى التي تكون منها ، ثم جاء الفلاسفة الرياضيون والجدليون ، ومن هؤلاء فيثاغورس وسقراط . وكان سقراط منشىء الطريقة الجدلية في البحث الفلسفي للوصول الى معرفة معاني بعض المفهومات مثل العدل والامانة والخيرية والشجاعة وما الى ذلك من المفهومات التجريدية . وقد استعمل افلاطون هذه الطريقة ايضا ، ولكن مسعى سقراط الى ادراك المفهومات والوصول الى كنهها او ماهيتها اوحى الى افلاطون الى ان للاشياء ايضا صورا مثالية تختلف عن صورها العادية المحسوسة وقال بنظرية المثل العليا ، وفرق بين الصور العادية التي يدركها الاحساس والصور المثالية التي لا يدركها الاحساس وانما يدركها العقل وحده . واخذ من الفلاسفة الاقدمين مثل هراكليتس فكرة التغير وقال ان الاشياء الدنيوية متغيرة وفي حالة صيرورة دائمة في حين ان الصور العلوية المثالية ثابتة لا تتغير وهي دائمة الكينونة . واخذ عن انا كساغوراس (٥٠٠ — ٤١٨ ق.م) فكرة العقل الكلي ، وعن پارمنيدس (ولادة نحو ٥٣٦ ق.م) فكرة العالم الازلي ، واخذ عن اتباع فيثاغورس (القرن السادس ق.م) فكرة خلود الروح ، ولكنه اخذ عن معلمه سقراط الفكرة القائلة بوجود طبيعة دائمة كنهية لا يمكن الوصول اليها الا عن طريق العقل ، وهي الفكرة التي فصلت بين الاحساس والعقل اولا ، وفرقت بين عالمين : عالم سفلي وعالم علوي ، وجعلت للاشياء صورتين : صورة ظاهرية وصورة حقيقية . فالمخلوقات في هذا العالم من حيوانات ونباتات وجمادات لها انواع مختلفة ، ولكن لكل نوع منها مثالا اصليا وافراد النوع تكون على هذا المثال ولكنها تكون غير كاملة ولا تصل الى درجة الكمال التي عليها المثال الاصلي . فهي صور ممسوخة عن ذلك المثال . فالمثل اذن عند افلاطون متعددة بحسب الانواع في المخلوقات وفي الاشياء المعنوية كالشجاعة والعدالة والامانة مثلا ، فهذه ايضا لها مثل اصلية او صور مثالية . ولم يكتف افلاطون بذلك بل خطا خطوة اخرى في هذه الذهنيات وقال ان المثل او الصور المثالية مودعة في العقل الاسمى او في الروح العليا وهي روح العالم او العقل الكلي ، وهي الهدف الذي يسعى الى وصوله كل فيلسوف . والمثل العليا في رايه هي الاشياء الحقيقية ، وغيرها غير حقيقي ، وبما ان ادراك هذه الاشياء الحقيقية يتطلب ذهنا وذكاء ، وهذان لا يتوفران الا في الفلاسفة ، فان الفلاسفة هم الذين يجب ان يوسد اليهم امر الحكم في البلاد . وبنى على هذه الفكرة كتابه « الجمهورية » المشهور .

وجاء تلميذه ارسطو (٣٨٤ — ٣٢٢ ق.م) فانتقد فلسفة افلاطون من حيث انها لم تضع تفسيرا للعلاقة بين الصور المحسوسة للمخلوقات والاشياء وبين الصور المثالية ، اي بين الصور الفانية والصور الباقية ، او بين الواحد والمتعدد . وقال ان الصور المثالية موجودة فعلا كما يقول افلاطون ولكنها لا توجد مجردة عن النسخ المنقولة عنها بل تعيش وتحل فيها ، حتى اذا هلكت النسخة هلك المثال معها ، ولم يعد مجال للقول بخلود الروح . وللتمثيل على ذلك قال ارسطو ان الرجولية مثلا ليست شيئا خارجا عن الرجل ، وانما هي حالة فيه ، وتصور وجود الرجولية منفصلة عن الرجل هو من قبيل الخيال الفكري لا غير . اما العقل الاسمى فموجود منفصلا عن المادة ، وهو في اتم صفات الكمال ، وجميع المخلوقات العاقلة تسعى الى الدنو من درجة الكمال هذه عن طريق العلم وحسن الاخلاق ، ولكن مع الاحتفاظ باهتمامهم بالاشياء الدنيوية.

ثم جاء الابيقوريون والرواقيون والمنكرون اوالشكاكون. وقال الشكاكون ان الحقيقة امر لا يمكن الوصول اليه لان واسطة الوصول هي الاحساس والاحساس كاذب لا يمكن تصديقه . ورد الرواقيون على ذلك بقولهم ان الاحساس قد يصدق احيانا وقد يكذب احيانا اخرى ، والعقل هو الذي يفرق بين الحق والباطل . وهنا دب الخلاف ، وكان من نتيجته ان الفلاسفة عادوا الى الايمان بوجوداله بمقام العقل المدبر لهذا الكون . وبذلك كانت خاتمة الفلسفة اليونانية كما كانت بدايتها ، بدات بالايمان وعادت اليه في النهاية ، وبدات بتحكيم العقل وانتهت بتحكيمه من جهة وبالشك فيه من جهة اخرى .

ولكن المهم في الامر ان الفلسفة الغربية في جميع اطوارها حتى الان لم تتخلص من تأثير الفلسفة الافلاطونية ومشتقاتها . وغلب على هذه الفلسفة طابع التجريد الفكري . من ذلك مثلا ان الانسان على اختلاف الصورة الجسمية في تفاصيلها له مثال اصلي كالنسخة الاصلية التي تنقل عنها جميع النسخ ، وان كل شيء في جوهره له ماهية او طبيعة اولى تكون قوامه واساسه الذي يبنى عليه ، وان كل كائن له كينونة مثالية ، وان الوجود صورة مشتقة عن هذه الكينونة ، وان شكل كل شيء مستمد من شكل اصلي ! حتى اذا صنع الانسان كرسيا مثلا على شكل ما من اخشاب قطعها من شجرة ما ، فان شكل

الكرسي كان في الاصل كامنا في الشجرة ، وان الزمن صورة عن الابدية وهكذا وهكذا . ومن هنا انفتح الباب امام الفلاسفة ، فاعتمد بعضهم العقل وحده ، واعتمد البعض الاخر الاحساس وحده ، واخذوا يقسمون العالم قسمين : قسم في الذهن وقسم خارج عنه ، بل ان بعضهم جريا مع افلاطون قال بان الافكار والصور الذهنية التي تقوم في العقل منذ الصغر كانت في الاصل موجودة في الذهن من الازل وانما الاختبار والتجربة ينبهانها ، وتفرعت الفلسفة تحت هذه التأثيرات الى الفروع التي ذكرناها في المقال السابق ، واتصلت الفلسفة الافلاطونية بالافلاطونية المستحدثة ، وكان لها ما كان من التأثير في الدين في العالم الغربي . والجدير بالالتفات في هذا الامر ان الدين في الغرب كان له اثر كبير في تطور الفلسفة . وقد اوضح ذلك الكاتب الالماني الاصل هاينرخ هايني في كتابه « الدين والفلسفة في المانيا » . فقد ذكر هناك ان ثورة لوثر الاصلاحية بعثت حرية الفكر وجعلت العهد القديم والعهد الجديد المرجع الوحيد للفصل في كل امر. وكان من نتيجة ذلك الافراط في الاعتماد على النص على اعتبار ان هذا النص من وحي الله . وهنا نشأت حركة دينية فلسفية نفرت من هذا الاعتماد المفرط ودعت الى مذهب ديني وفلسفي جديد وهو ما يسمى Deism اي الايمان بالله ولكن لا عن طريق الكتب السماوية . ثم جاء كانت الفيلسوف الالماني وابتدع فلسفته المعروفة فقضى بها على هذا المذهب الجديد . واما هيكل ، وهو اكبر فلاسفة الالمان طرا ، ففلسفته كانت في الاصل بدافع ديني . فانه عارض كانت الذي كان يقول ان المعرفة لا تصل الى الحقيقة ، وقال ان المعرفة توفيق بين الروح والمادة . ثم ان اساس فكرة هيكل الجدلية التي يقول فيها ان التعارض بين فكرتين يخلق فكرة ثالثة تجمع بين النقيضين اساس ديني محض ، اراد به ان يحل عقدة التعارض بين الاوامر الدينية الشديدة في العهد القديم وبين رغبة الانسان في التحرر من هذه القيود ، فوضع فكرة (التوسط) وعبر عن ذلك بان المحبة المتجسدة في السيد المسيح هي الوسيط لحل هذا التعارض . فالتاريخ في سيره محكوم بفكرة الوساطة هذه ثم جاء بعد ذلك وقال قولته المشهورة ....

ولم تخل فرنسا ولا بريطانيا من التأثير الديني في الفلسفة . فالفيلسوف الفرنسي ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠) الذي بدأ الفلسفة الحديثة بمبدأ الشك المطلق جاء بعد ان انقسمت الفلسفة التي كانت في القرون الوسطى الى ثلاثة اقسام : (١) الفلسفة المستقلة (٢) العلم النظامي (٣) الدين . فقد كان علماء الكلام الغربيون يسخرون الفلسفة لخدمة الدين ، مع اعطاء الدين المقام الاول والقول الفصل في جميع الخلافات . ومع نجاح العلم النظامي الحديث انقسم اصحاب الفكر الى علماء ماديين يؤمنون بالتجربة والمشاهدة امثال بيكن الانكليزي والى علماء دينيين امثال المطران باركلي الايرلندي (١٦٨٥ – ١٧٥٣). وكان من نتيجة هذه البلبلة الفكرية وهذا التعارض في الاراء قيام ديكارت بانكار كل شيء يقوله هؤلاء وهؤلاء . واراد ان يتجرد من كل تأثير سابق وفكرة قديمة ويضع الفلسفة على اساس جديد . وقال ان الاساس الجديد يجب ان لا يتطرق اليه الشك ، وخرج من ذلك الشك كله بحقيقة اساسية واحدة وهي انه مفكر ، بمعنى ان عملية التفكير وليس الانسان المفكر هي ما لا يتطرق اليها الشك، ومنها قال : انا افكر فأنا موجود . ولكنه قال ايضا ان شعوره بالتفكير يجعله يشعر بنفسه ويشعر بانه مخلوق محدود غير كامل. ومضى من ذلك الى القول ، على طريقة افلاطون، ان محدوديته لا تفهم الا اذا كان يوجد شيء غير محدود ، وان قصوره عن الكمال لا يفهم الا اذا كان يوجد شيء تام الكمال . وخرج من ذلك كله بفكرة استنتاجية وهي وجود كائن حقيقي كامل من جميع الوجوه ولا يحصره حد ، وهو الله . وهنا نعود بالذاكرة الى افلاطون ونظريته في المثل العليا . فان هذه المثل كانت عنده عبارة عن جواهر حقيقية موجودة ابدية ثابتة سواء فكرنا فيها او لم نفكر . ثم اخذ هذه الفكرة القديس اوغسطينوس (٣٥٤ – ٤٣٠) فقال ان هذه الجواهر الابدية يمكن اعتبارها افكارا في ذهن الله . وفي القرن السادس عشر اخذ الفلاسفة فكرة اوغسطينوس من اساسها ، ولكنهم قالوا ان هذه الافكار موجودة في ذهن الانسان . والفكرة الاستنتاجية التي خرج بها ديكارت هي من هذا القبيل مع غيرها من هذا النوع . فالرأي في الاصل رأي ديني .

ولكن كيف تمكن ديكارت من الفصل بين ما هو صادق وما هو كاذب ؟ استعمل ديكارت الطريقة الكلامية المعهودة، فقال : لما كان الله كاملا صادقا ، ولما كانت معرفة الانسان بالعالم مستقاة من معرفته بالله ، فمعرفة الانسان بالعالم يجب ان تكون صادقة ، والعالم يجب ان يكون حقيقيا ، على شرط ان تكون هذه المعرفة جلية متميزة ، لا يشوبها شيء من التظنيات المشكوك فيها ، لان الله ، بكونه الحقيقة ، لا يمكن ان يخدع الانسان ويغشه . وقال ان المعرفة الجلية المتميزة تأتي عن طريق الرياضيات والميكانيكا . وبهذا فتح الباب امام الفلسفة الميكانيكية في الحياة التي نشأت فيما بعد .

وتهمنا هنا ناحية من فلسفة ديكارت تتعلق بتطور الفلسفة الوصفية Phenomenology نشوء الفلسفة الوجودية، وهي ناحية الفصل بين العقل والجسم . فان ديكارت اعتبر العقل او الشعور منفصلا عن الجسم او المادة ، وجعل لكل منهما مجالا مستقلا عن الاخر . ولما اراد ان يعلل الارتباط بين العقل والجسم قال ان الله هو الذي يحرك العقل فيفكر الانسان مثلا في رفع يده ، ثم يحرك الله اليد فتتحرك . فعنده ان العقل يتحرك وحده بأمر

الله والجسم يتحرك وحده بامر الله ، بدون ان يكون اتصال مباشر بين العقل والجسم . وقد ادت هذه النظرية الى اعتبار الشعور مخزنا مستقلا مطبقا تستودع فيه الافكار. وقد انكر هسرل صاحب الفلسفة الوصفية هذه النظرية الديكارتية ، كما انكرها تلميذه الالماني هايدكر والفيلسوف الامريكي وليم جيمس (١٨٤٢ – ١٩١٠) . واتصفت الفلسفة الحديثة في القرن العشرين بالانسلاخ عن فلسفة ديكارت ، وبالرجوع الى الاهتمام بالوجود الانساني الفردي باعتبار هذا الوجود متكاملا يقرره واقع الحياة والاختبار في هذا العالم . وهكذا فان فلسفة ديكارت التي بدات بالشك المطلق في جميع الافكار السابقة انتهت في القرن العشرين بشك مقابل ، فذهبت ضحية السلاح التي امتشقته ضد غيرها .

هذه مقدمة كانت طويلة ، اردت بها ان اكشف للقارىء الكريم ناحية من نواحي التطور في الفكر الفلسفي الغربي، وابين بها ان الاراء الفلسفية الغربية ليست الا سلسلة متصلة الحلقات يتأثر بعضها ببعض وينجم بعضها عن بعض . ولو ظل الفكر العربي من اساسه يجري على سجيته لكانت سيرته في التطور والنشوء كسيرة الفكر الغربي تماما . ولكن النقل والتقليد لم يجعلا مجالا لهذا التطور وهذا النشوء ، واصبح الفكر في البلاد العربية عالة على الفكر الاجنبي مما ادى الى اعتناق مذاهب وفلسفات ، حتى في الشعر والادب ، لا تمت الى الواقع العربي باية صلة ، بل جعلت المفكر العربي ، ان كان مفكرا، ينسلخ عن محيطه وينشق شطرين : فشطر في ارض بلاده ، وهو الجسم ، وشطر في بلاد غيره وهو العقل . ولعل فلسفة الوجودية التي هي من نتاج الفكر الغربي وواقع الحياة الغربية تكون عاملا على تعديل الاتجاه ، ولو عن طريق النقل والتقليد .

ولاستكمال العرض ارجو ان يتسع صدر القارىء الكريم لصورة اخرى من صور التفكير الفلسفي الغربي ، فقد ذكرت في مقال سابق شيئا عن الفلسفة الظاهرية Phenomenalism التي يقبل بها الان عدد كبير من الفلاسفة ، ولكن ما ذكرته كان مقتضبا جدا . واريد الان ان اذكرها بشيء من التفصيل لاربط بينها وبين الفلسفة الوصفية الوجودية . ولنبدأ بالكلام عن شيء معروف لدينا وهو الكرسي الخشبي مثلا الذي نقعد عليه . فنحن نرى هذا الكرسي ونلمسه ونحمله ونقعد عليه ، وكل شيء يحدثنا بان الكرسي موجود حقيقة ، حتى انه لو شك احد بوجوده لحكمنا عليه بالجنون . ولكن دعنا ننظر في الامر مليا ونتساءل كيف جاء لنا ان الكرسي موجود فعلا. نقول بالطبع ، اثباتا على وجوده ، اننا نراه بأعيننا ونلمسه بأيدينا ونقعد عليه ، وهل يحتاج الامر الى اكثر من ذلك ، ولكن الرؤية مثلا تكون عن طريق الاشعة الاتية من الكرسي والمارة من الهواء والداخلة في العين حيث تحدث في الشبكية بعض التاثيرات الكيماوية والكهربائية فتؤثر هذه في عصب الرؤية فينقل هذا هذه التأثيرات الى الدماغ والدماغ يتصرف بها بطريقته الخاصة فيعطينا هذه الصورة المعروفة وهي صورة الكرسي كما نراها في الخارج . والسؤال الذي يرد على البال هنا هو : هل نحن مطمئنون الى ان الصورة التي يكونها الدماغ هي الصورة الاصلية التي بقيت حالها منذ ابتداء العملية وفي جميع مراحلها ، ام ان الصورة قد تغيرت في اثناء مرور الاشعة في الهواء او في العين او عند عصب الرؤية او في الدماغ ؟ هذا ما لا نعرفه ، ولذلك لا يمكننا ان نقول ان صورة الكرسي التي نراها هي الصورة الحقيقية ، كما اننا لا نملك الواسطة التي يمكن ان نتحقق بها من وجود ذلك الشيء الذي يقال له الكرسي، لاننا لو اردنا التحقق لم نجد معيارا الا معيارنا نحن . فكل ما نعرفه اذن هو الصورة المرئية ، ولكننا لا نعرف اذا كانت هذه الصورة هي الصورة الحقيقية ، كما اننا لا نستطيع ان نعرف اذا كانت الكرسي موجودة فعلا . ثم ان الكرسي موجودة ما دمنا نحن موجودين . فنحن الذين نكون صور الاشياء في ذهننا كما يريد الذهن لا كما هي الاشياء حقيقة . فالعالم الخارجي صورة منعكسة عن عقلنا ، ولا مجال لمعرفة الاشياء على حقيقتها . والاشياء التي يستطيع الانسان ان يعتبرها حقيقية بالنسبة اليه وهي الصلابة والبرودة مثلا عند ملامسة الكرسي والشكل عند الرؤية والثقل عند الحمل وما اشبه ذلك . فاذا اكتفى الانسان بذلك ، ولم يتعب نفسه في البحث اذا كانت هذه الاحساسات حقيقية او غير حقيقية كان من جهة من اتباع الفكرة العلمية ومن جهة اخرى من اتباع الفلسفة الوصفية . فالعلم النظامي Science يعتمد على الاحساسات في ابحاثه ، وهو ناجح حتى الان ، وان كانت نظرياته بحكم الضرورة نظريات تقريبية . وقد يكتفي الكثيرون بذلك ، ولا يجاوزونه الى القول مع الفلاسفة المثاليين بأن كل شيء هو من صنع العقل ولا وجود للعالم المادي . « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

لندن — حسن الكرمي



ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيكون من الافضل ، ان اعترف لها بكل شيء. انني لا احب ان اكون خادعا او جبانا ، ثم ما الـذي يخيفني ؟. انني لا اخشى احدا ، ولا اهتم بما يقوله الناس عني . ان جميع الاشياء من حولي ، لم يعد لها معنى .. اي معنى ، وكل مظهر من تلك المظاهر ، التي ربما تؤثر في الناس ، لا قيمة لها عندي . ومع ذلك فان بعض التردد بدأ يراودني . انني في الواقع ، اشعر بحالة غريبة تسيطر علي .. على تفكيري ، اخلاقي ، احساساتي . في لحظة ، اجد نفسي واقفا وحيدا، من حولي فراغ كامل ، على الرغم من الصخب الذي يجتاح المدينة . لقد اصطدم بي احد المارة ، غير اني لم اهتم ، كان يمكن ان التفت اليه ، واسبه واشتمه ، وقد اطعنه في شرفه ، كانت رغبتي في الكلام قد انعدمت ، فواصلت السير، انني اعرف الهدف الذي اسير تجاهه : ميدان سليمان باشا ، المنزل رقم واحد ، سأقف ، ثم انظر في ساعتي ، فاذا كانت السادسة ، اتخذت طريقي داخل العمارة ، لن استعمل المصعد ، انني احتاج الى فترة قصيرة ، اجمع فيها ما سأقوله . لقد حاولت في الصباح ان ارتب كلامي ، الا انني فشلت وفكرت ان اكتب افكاري ثم احفظها ، ولكني ايضا فشلت : كل ما كتبته كان ركيكا ، مفككا ، خال من المعنى. لهذا فقد آثرت ان اترك الالفاظ للموقف نفسه ، اما المعاني ، فانني اعرفها جيدا ، اعرفها بشكل اكيد .

الان .. وصلت الميدان ، درت فيه حتى وصلت الى العمارة ، نظرت الى ساعتي : السادسة الا ربعا . علي ان انتظر ربع ساعة ، ولكن ما الذي سأضعه خلال هذه الفترة ؟ فكرت في شراء علبة سجاير .. انني لست من المدخنين، ولكنني اعتقدت ان التدخين ربما اعانني على تنسيق الكلام . كنت محتاجا الى فترة اطول للتفكير ، ولكن الظروف تلاحقت بحيث وجدت نفسي امام المشكلة وجها لوجه . على ناحية العمارة ، واجهة صغيرة ، تباع فيها السجاير . اتجهت اليها، اخذت علبة جميلة خضراء ، اعجبني منظرها ، هذا كل ما في الامر ، ونقدت البائع ثمنها . عدت الى موقفي ، فتحت العلبة ، اخرجت سيجارة اشعلتها . هبت نسمات رقيقة ، انعشتني ، ولكن راسي بدات تدور ، فادركت ان دخان هذا النوع رديء ، وفكرت ان القى بها ، الا انني لم افعل ، ولكنني قللت من جذب الانفاس . نظرت الى الساعة :



بقلم مصطفى ابو النصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا عشر دقائق . اقتربت من كشك تباع فيه كتب ومجلات ، ووقفت القي نظرة على الاسماء ، لم يكن من بينها اسم واحد يغري بالقراءة، وتعجبت كيف يتأتى لبعض الناس ، ان تنفق فلوسها مقابل شراء بعض الاوراق ، اما الصبر على القراءة ، فتلك مشكلة اخرى .

في العمارة المجاورة محل لبيع الازهار . اقتربت من واجهته ، وجعلت اتأمل المياه المنسابة عليها ، كان منظرها حزينا ، وشجعني ذلك على شراء وردة . دخلت من الباب، فاستقبلتني فتاة بابتسامة محاطة



بشفتين في لون الورد الاحمر ، شعرت بالحرج للحظة ، ويبدو انها قارئة وجوه بارعة ، ما ان لمحت حيرتي حتى بادرتني قائلة :

— انا في خدمتك يا سيدي .

كانت جملتها هذه مما زاد اضطرابي ، وهممت ان اطلب منها طاقة من الورد ، ولكن لست ادري ما الذي جعلني اقول لها وفي شيء من البلادة والبرود :

— من فضلك .. وردة حمراء .

خيل الي انها ترددت لبرهة ، الا انها سارعت ، وبنشاط بدا لي غريبا ، وانحت على زهرية كبيرة ، واختارت منها وردة حمراء متفتحة، وقدمتها الي في احترام وتقدير وكانها تمنحني وساما . وامتدت يدي تأخذ الوردة ، وفي نفس اللحظة سألتها :

— بكم من فضلك ؟

تقهقرت وهي تنحني انحناءة بسيطة قائلة :

— انها هدية من المحل .

فوجئت بهذه الاجابة : لم اكن انتظرها وازداد حرجي فقلت في لعثمة :

— كلا .. كلا .. شكرا ، انني اريد ان ادفع ثمنها .

وادخلت يدي في جيبي لاخرج الفلوس ، ولكنها قالت وهي تنسحب الى مكتبها الصغير الانيق في ركن المحل :

— لقد طلبت وردة ، ونحن نقدمها لك هدية .: هل ترفضها ؟

احسست انني اقف امام ملاك ، وخرجت يدي مخزولة من جيبي ، ورفعت الوردة اشمها ، فاجبتها قائلا محاولا ان ابدو رقيقا مهذبا :

— اني شاكر .. شاكر جدا .

وتقهقرت خارج المحل ، وقبل ان اخطو الى الخارج تماما ، التفت اليها وانحنيت مكررا شكري .

بعد بضعة خطوات ، فكرت ان اضع الوردة في عروة الجاكتة ، وجربت ذلك فعلا، الا انني استثقلت

هذا المنظر ، واخذت اشمها ، وقد تمثلت لي صورة الفتاة ، فملأت السعادة قلبي .

تذكرت الميعاد ، نظرت في الساعة : السادسة . علي الان ان اتجه الى المنزل رقم واحد ، الدور الثالث ، الشقة رقم تسعة .تأملت الوردة ، وشممتها ، ثم اتخذت طريقي الى المنزل .

ما ان احتواني ظلام الممر المؤدي الى السلم ، حتى بدات افكر فيما ساقوله . خيل الي انني فقدت الذاكرة ، وانني ساقف متلعثما لا ادري ما اقول ، ولكني اقدمت وبدات اصعد في السلم ، كانت ضربات قلبي تتوالى في سرعة ، الا انني ضغطت على نفسي ، محاولا ان اشعر بشيء من الاستهتار واللامبالاة : ما الذي يمكن ان يحدث .؟ لا شيء بالطبع .. اذا رفضت فلن استطيع معها شيئا ، واذا قبلت ، انفتحت جميع الابواب امامي .

كان ضوء السلم خافتا ، ينبعث من لمبة ضعيفة في السقف تراكم عليها الغبار . ولم يكن يصدر اي صوت ، صمت مطبق ، فشعرت بالوحشة ، وتصورت انني صاعد في طريق مجهول ، ربما انتهى بي الى العدم ، ووجدتني اتوقف عند الدور الثاني ، وتذكرت الوردة ، كانت رائحتها نفاذة قوية ، ودارت براسي عدة افكار متضاربة ، لم اتمكن من تحديد اي منها وبماذا ابدأ ؟. وعاودت الصعود في بطء شديد . لاح لي نور الشقة منخلال القضبان والزجاج المغبش ، فتوقفت للحظة ، ولكني اقدمت ، وبيد ثابتة ضغطت على الجرس ، كان رنينه عاليا ، رفعت يدي بسرعة ، وابتعدت عن الباب .بعد لحظات استمعت الى وقع اقدام ، اقتربت ، ثم فتح الباب .

ظهرت سيدة بدينة ، عليهاوقار، لم ارها من قبل . شعرت بشيءمن الاضطراب ، وهممت ان اتراجع لولا جاءني صوتها قائلا :

ـ تفضل .. تفضل .. انها تنتظرك .

وتنحت عن فتحة الباب قليلا ، فتقدمت وحينما خطت قدمي الى الداخل ، وصار وجهي في وجهها تماما ، حييتها :

ـ مساء الخير .

ردت علي وهي تمد يدها مسلمة :

ـ مساء النور .. تفضل .

تقدمتني في الصالة الطويلة ، وكان لوقع حذائها على البلاط اللامع صوت غريب ، اشعرني بما انامقدم عليه . والواقع انني ـ في تلك اللحظة ـ لم اكن ادري تماما ، ما الذي يجب علي ان اقوله ، وكل الافكار التي قلبتها في راسي طوال الاسبوع الماضي ، لم اجد لها اي اثر ، ولعنت نفسي ان اقدمت على محاولة الاعتراف . وفتحت باب حجرة على يمينها ، وباشارة من يدها ، تقدمتها ودخلت ، وتركتني ومضت . جلست على كرسي وثير في صدر الحجرة ، بحيث اصبح الباب في مواجهتي تماما . ومرت فترة ، تأملت فيها بعض الصور المعلقة على الحائط ، وكانت ثمة زهرية من الصيني الفاخر في ركن الغرفة الايمن عليها نقوش دقيقة . نظرت في الساعة : السادسة وسبع دقائق ، مرت علي وكأنها سبع ساعات . انني الان غارق تماما في قلب المشكلة ، ضاع وقت التردد ، لا سبيل الى التراجع ، علي الان ان اواجهها تماما ، ان اقول لها كل ما حدث ، ذلك هو الطريق السليم ، ان لم افعل ، او حاولت الكذب ، ستكتشف كل شيء ، ان لها حاسة عجيبة في قراءةوجوه الاخرين ، وكثيرا ما احرجتني بمجرد التقاء العيون . انتبهت الى الوردة الحمراء في يدي ، شعرت بالحيرة : ما الذي يمكن ان اصنعه بها هنا ؟

بدت في اطار الباب ، فيفستان سماوي هادىء ، على وجهها اشراقة غريبة ، قصت شعرها في كعكة فوق راسها ، على شفتيها ابتسامة حالمة . ما ان وقع بصري عليها ، حتى وقفت وتقدمت مادا يدي مسلما عليها ، كفها بيضاء رخصة ، اظافرها طويلة قرمزية كحبات الكريز :

ـ اهلا وسهلا .. تفضل .

ـ كيف حالك ؟

ـ لا بأس .. اتعرف من التي فتحت لك الباب ؟

ـ كلا للاسف .

ـ انها عمتي .

ـ اهلا وسهلا .

ـ امراة طيبة .

ـ يبدو عليها .

ولمحت الوردة ، ووقع بصرها عليها فجاة فسألتني قائلة :

ـ من الذي اعطاك هذه الوردة ؟

اردت ان اكون غامضا فكها في آن ، معتقدا ان ذلك ربما هيأ جوا لطيفا للتفاهم فأجبتها وعلى شفتي ابتسامة :

ـ اهدتها لي امراة .

ـ من هي ؟

ـ لا تعرفينها .

ـ لقد اصبحت دون جوان .

ـ يجوز .

اطلقت ضحكة عالية ، احسستها مليئة بالسخرية ، تأملت ساعتها اسنانها البيضاء اللامعة ، الا انها فجاة ، اعتدلت في جلستها ،وبدت لي وكأن شخصية اخرى هي التي تجلس معي. قطبتما بين حاجبيها، وشبكت اصابعها ، وقالت بصوت تبينت فيه الصلابة وعدمالترحيب:

ـ اذكر كل شيء لي بالتفصيل .

ـ اي شيء ؟

ـ الا تعرف !! لماذا اتيت اذن ؟

ـ في الواقع .. انا اريد .. اريد ان اقول ...

ـ لا تكثر من الثرثرة .. اذكر ما تعرفه باختصار .. ليس عندي

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

الام المفقودة

•

لا تبعدي عني ففي اضلعي ... نار ، تسل الحلم من مخدعي
ولم تزل ذكراك انشودة ... ثائرة الالحان في مسمعي
الام أمشي فوق درب الهوى ... وحدي،وطيف الياس يمشي معي
وأسال الايام في لهفة ... عن موسم ولى ولم يرجع
كم شدت احلامك فوق الذرى ... شامخة في افق أوسع
فهجت بي نار شجوني ولم ... تصغي لشكواي ولم تسمعي

* * *

أنا هنا...حيران... لا أنثني ... أشيع الاحلام بالادمع
وأشتكي وجدا تباريحه ... تودي بقلبي المدنف الموجع
ماذا تريدين وفي مقلتي ... طيف هيام الشاعر المبدع
وفي شفاهي للاسى غنوة ... تنعي بقايا امل ممتع
ذهبت انت .. والهوى لم يزل ... مستيقظا في القلب لم يهجع
ولم أزل ابكي على زهرة ... ألوت بها الريح فلم تينع
هاتي يديك .. لا تزيدي أسى ... طفل سوى الحرمان لم يرضع
واسعديني في الهوى علني ... أبلغ من هذي الدنى مطمعي
فانت لي ام ، وفي جوهري ... صوت ، يشوق النفس للمنبع

عمان ... عبد الرحمن سالم عاليه

وقت .

في تلك اللحظة ، تمنيت لو لم آت . كنت افضل ان اخرج من حياتها الى الابد ، حتى لا اقف موقفا كهذا ، ولكنني شعرت انني استطيع ان اقول ما اريد لا ما تريد هي . ويبدو انها استطاعت ان تدرك ان فترة صمتي تعني شيئا ما ، ويبدو انها ايضا — وهذا ما عرفته فيما بعد — قد عرفت الكثير ، ولم تعد بحاجة الى ما ساقول ، ذلك انها غادرت الحجرة دون ان تستأذن مني ، وعادت بعد قليل ومدت لي يدها بورقة مالية قائلة :

— خذ هذه..وقل كل ماتعرف.

لم اكن انتظر أن تعاملني بهذه القسوة ، او على الاقل بهذه الطريقة . فاردت انا ايضا ، ان اقف منها موقفا يماثل ما عاملتني به . وببرود شديد ، متجاهلا يدها الممدودة بالورقة المالية ، رفعت الوردة اشمها ، ثم مددت يدي بها لها قائلا :

— تفضلي هذه الوردة ، انني امنحها لك بدون مقابل .

كانت صفعتي لها غير منتظرة ، وردتها لي قائلة :

— على اي حال .. لست في حاجة الى ما تقوله .. لقد عرفت كل شيء .

— لماذا اذن تريد مني ان اتكلم ؟

— عمتي قالت لي كل شيء .

— اذن لم يعد لوجودي معنى .

— تلك هي الحقيقة .

غادرت الحجرة ، ثم المنزل ، ووجدت نفسي اسير تجاه محل الازهار . وقفت في الخارج اتأمل الفتاة من خلال المياه المنسابة ، ولكني خشيت ان تلمحني ، فأسرعت مبتعدا ، وقد قررت ان اعود اليها غدا ، فأشتري وردة ، فان اهدتني اياها،عرضت عليهاالزواج.

القاهرة ... مصطفى ابو النصر

احمد شاكر الكرمي

بقلم البدوي الملثم

* * *

ولد في طولكرم (بفلسطين) سنة ١٨٩٤ وتلقى دروسه الاولية في مدارسها ويمم القاهرة طلبا للعلم في الازهر الشريف وسلخ في طلبه حوالى ست سنوات .

تحدر احمد شاكر الكرمي من اسرة تميزت بالادب والعلم والدين ، فوالده الشيخ سعيد الكرمي لغوي وشاعر فذ واخواه محمود وعبد الكريم (ابو سلمى) شاعران اصيلان وشقيقاه حسن وعبد الغني اديبان موهوبان .

حال نشوب الحرب العظمى (١٩١٤) دون اياب احمد شاكر الى فلسطين فيمم مكة المكرمة ليسهم في تحرير جريدة «القبلة» (١) بطلب من محررها الاول الاستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة «الزهراء» (٢) ،وفي مجلد عام ١٩٢٧ من هذه المجلة كتب الخطيب يقول :

« صحبته في البر والبحر ، وعرفته في اوقات الرخاء وساعات الشدائد ، وسلخنا الايام معا من الصباح الى الليل سنة كاملة او اكثر من سنة وكنا نتفق في الراي ونختلف ، فكنت ــ في كل ما بلوته من احواله ــ ازداد اعجابا بمكانة اخلاقه وطهارة نفسه وادخاره القوة بالصمت ليوم العمل .

وانقضى عام تمكن فيه اليأس من قلبين لم يكن لليأس سبيل اليهما ، فقررنا ان نبتعد عن تلك البيئة ، فحمل البحر صديقي الى وادي النيل واخترقت انا البادية بطريق المدينة الى دمشق ثم التقينا في عاصمة الامويين ، وما لبثنا ان فرق بيننا يوم ميسلون ، فجئت انا الى القاهرة ، وتخلف هو في دمشق فكان منه الرجل الذي عرفه الناس في السنوات الست الاخيرة ، حتى اختاره الله لجواره !» .

بعد اياب احمد شاكر من الحجاز الى وادي النيل ظل في القاهرة يحرر جريدة «الكوكب» (٣) الاسبوعية لصاحبها محمد القلقيلي ، وفي كنانة الله عكف على درس اللغة الانكليزية حتى اتقنها ، ثم زار مسقط راسه وما لبث ان يمم دمشق حيث كان والده الشيخ سعيد الكرمي نائبا لرئيس المجمع العلمي العربي .

واول عمل زاوله في دمشق عام ١٩٢٠ وظيفة بالمحاسبة في سكة حديد الحجاز وبقي موظفا الى عام ١٩٢٤ ثم استقال من عمله واقبل على الصحافة والادب ، وقد خلق لهما ، وشرع في نشر مقالات ادبية واجتماعية وانتقادية في عددي الاربعاء والسبت من كل اسبوع في جريدة « الف باء » الدمشقية لصاحبها المرحوم يوسف العيسى بعنوان « المعرض العام » وبتوقيع « قدامه » قابلها القراء بالتقدير والاعجاب ، وكانت حديث الادباء وذوي العقول النيرة ، وفيها عرض احمد شاكر كمال قال (٤) : « ... شيئا من شؤون حياتنا اليومية ، وطرفا من احوالنا الاجتماعية والاخلاقية ، وما يمسها من الامور مباشرة او غير مباشرة ، سالكين في ذلك سبيل الصراحة والحرية والبعد عن المحاباة والمداهنة ، واننا نقطع على انفسنا عهدا ، بالا نتعرض للشخصيات ، وان نحصر همنا كله في معالجة المسائل الاخلاقية والاجتماعية والادبية العامة، وان نبتعد جهد الطاقة عما عدا ذلك من الامور !

هذا وانني افتتح باسم الله ابواب هذا « المعرض » للمتفرجين وابدا بعرض نفسي فيه قبل كل شيء ! »

وهنا عرض احمد شاكر نفسه بمقال عنوانه « من انا ؟ » وفيه صور نواحي نفسه وتناول بعض مراحل حياته فقال :

« انني شاب قروي من اسرة اشتهرت بالعلم والدين ، وقد ولدت يوم ولدت على حال غير مالوفة ، ونزلت الى هذه الارض جثة باردة بلا نفس ولا حركة ، فظن جميع الناس انني ميت ، ولولا عناية احدى القريبات لدفنني القوم وكنت اليوم من سكان القبور ، وقد شاعت في الاسرة على اثر ذلك خرافة غريبة ، مآلها انه سيتم على يدي امر عظيم في يوم من الايام ، اما انا فلست اصدق الخرافات عامة ، وهذه الخرافة بوجه خاص ، وقد التحقت بالمدارس صغيرا ، ثم تغربت في طلب العلم بضع سنين استفدت منها ما يلزم الرجل الحي في هذا العصر !

ورايت ان اضيف الى راس مالي العلمي ، معرفة احدى اللغات الحية فتعلقت باذيال اللغة الانكليزية واكببت عليها ، بعد رجوعي من رحلة طويلة الاجل في جزيرة العرب ، فوصلت فيها الى درجة حسنة ، وصرت قادرا على فهم اكثر ما اقرا من كتب الادب في تلك اللغة ، الا انني بقيت ضعيف اللسان ، غير مبرز في ميدان الحديث، ولست ادري اكان ذلك لانني طبعت على حب الصمت ،ام لانني لم اتلق اللغة عن سيدة من السيدات ، ولم اتبع نصيحة الشاعر « بايرون » التي اوردها في قصته « دون جوان » فقال : « لذيذ والله ان يتعلم المرء اللسان الاجنبي من شفتي المليحة الحسناء ومقلتيها ، والذ ما يكون ذلك ، اذا كان في مقتبل العمر وريعان الشباب ، وما اقول ذلك الا عن خبرة وتجربة » .

ولم يمنعني من اتباع هذه النصيحة الا كراهية الخلط بين اللذة التي عناها الشاعر وبين العلم ، وانني لاعلم انني اضعت بسبب ذلك فائدة حذق فن الحديث والبراعة فيه ، وهو الفن الذي تحتكره السيدات من دون الناس اجمعين ، حتى قال عنهن احد ظرفاء الغرب « ان الله

لطف بهن فلم يخلق لهن لحى كالرجال ، لانهن كن يصبن بجروح خطيرة عندما يكن بين يدي الحلاق ، بسبب عدم مقدرتهن على ملازمة الصمت والهدوء ! » .

وقد اقمت ازمانا طويلة في عواصم البلاد العربية ، واختلطت بطبقات متعددة مختلفة من كل الاجناس المعروفة ، وكونت لي اختباراتي وتجاربي اراء خاصة في الحياة وشؤونها ، تخالف اراء الناس تارة وتتفق معها اخرى ، ولست ابالي ان اجهر باشد ارائي شذوذا ، ما دمت اعتقد انني على حق ، وهذه خلة من شأنها خلق المشاكل والصعاب ، خصوصا في البيئات الدنيا التي لا تعرف التسامح ولا حرمة حرية الفكر والوجدان ، الا ان الصمت الذي الوذ بجانبه ، لا يستر هذه الخلة فحسب ، بل يعرضني ايضا لظنون الناس وتهمهم ، واني لا اعرف كثيرين ممن يعتقدون لطول صمتي انني ابكم ، واخرون يقولون بل هو حيوان في صورة انسان لا يعرف شيئا يقوله !

واعتدت منذ الصغر العزلة والانفراد ، مقتديا في ذلك بالحكيم الفرنسي « روسو » هذا اذا جاز ان نسمي الانحجاب بين الكتب والدفاتر والاقلام والمحابر « عزلة » واني مع ميلي الى اجتناب الناس والانزواء عنهم لا اهمل الفرص التي تمكنني من معرفة شؤون الاجتماع وامور البيئة التي اعيش فيها !

هذا كل ما اقوله عن نفسي وهو كاف على ما اظن لعقد صلات التعارف بيني وبين القراء ، وسيكتفي به القارىء القنوع ، اما الذي يود ان يعرف درجة عرض البلد ، والبرج الذي ولدت فيه ، واسم ابي وامي ، واهل البس طربوشا او عمامة او قبعة او عقالا ، ومتزوج انا ام اعزب ، طويل ام قصير وما احب من اصناف الطعام وانواع المآكل ، وهل اكتب بيميني ام بشمالي ، وهل العب الورق والنرد وكيف امشي واجلس وما اشبه ذلك ، فاني آسف لعدم استطاعتي ارواء ظمأه ، وارضاء طمعه ، اسفي على اهماله مداواة نفسه والسلام ! » ...

«وفي الخامسة والعشرين (٥) من عمره ، عام ١٩٢١ ، ولما يمر عام واحد على مقامه في دمشق ، كان يملأ الحياة الادبية في المدينة ، ويشغل محافلها ويظهر في كل مكان من صحافتها ، مرة باسمه الصريح ، ومرة باسم مستعار ، وكان يؤثر ان يتوارى وراء حروف رموزه منذ عام ١٩١٨ في صحف مصر ، ثم في الحجاز ، ثم في دمشق حيث بدأ ينشر مقالاته الادبية والاجتماعية في جريدة « الف باء » بتوقيع « قدامه » وقد ساهم في تكوين اول هيئة ادبية في سورية باسم « الرابطة الادبية » وفي تحرير مجلتها التي حملت اسمها فكان محور نشاطها ونجم صفحاتها ، ثم تولى تحرير مجلة « الفيحاء » عام ١٩٢٣ واخيرا انشأ مجلته « الميزان » فعاشت عامي ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ وكان يتصل خلال كل هذا بادباء العرب في مصر والمهاجر ، ويراسلهم ويراسلونه ، فاستطاع ان يجعل من دمشق قبلة الانظار العربية ، بالاخص عندما انشأ « الميزان » التي برع في تحريرها صحافيا دؤوبا ، واديبا فذا ، ومترجما مجددا ، وباحثا اجتماعيا ، وما ان تحتجب « الميزان » عام ١٩٢٧ حتى تحجب الشام من جديد غمامة من ظلام ، وتنطفىء شعلة النشاط الادبي بغتة وكانت قد تجاوزت حدود البلاد الى ديار العرب ومساكنهم خلال فترة قصيرة من الزمن حقا ، ولكنها ستبقى في سجل حياتنا الادبية حدثا من احداث التاريخ يرتبط ارتباطا كليا وشخصيا بحياة احمد شاكر الكرمي ... مثل مرور الشهب المحترقة كان ظهوره في سماء العرب واختفاؤه !»

« كان الكرمي (٦) دنيا منفردة في الادب العربي ، ولهذه الدنيا سماؤها وبحارها وشطئانها وانهارها وبداوتها وحضارتها وما اكتشف من هذه الدنيا على ترف جماله وغناه وسعته ، جزء دقيق صغير مما لم يكتشف !

كانت ديباجة الكرمي احلى من ربيع الشام ، باكرته غمامة وطفاء ، واحفل بالصور والالوان ، وكان فكره الذي تجلوه الديباجة جلوة العروس اعمق من البحر ، وعلى العمق الهادىء المطمئن كان زاخرا بالمعادن الكريمة من الف نوع ومن الف لون ، وكان الكرمي الرائد الاول النقد الادبي عند العرب في هذا العصر وكان الى ذلك الناقد الاول ، والاولية هنا اصعب منالا وارفع منزلة واعز جانبا ، وقد تمضي عصور وعصور قبل ان يأتي عبقري آخر يزحزح الكرمي من هذه الذروة لا ليتسنمها بل ليكون جاره على السماء من امجادها . وكان الكرمي قاسيا في نقده لا يهادن دعيا ولا يرحم الزيف ولا يصانع التهريج ولا يخدع بالضجة ولا تغره الاسماء ، ولا وسط عنده في الفن ، ولم يكن شاعرا ولكنه كان يفطن الى اخفى اسرار الشاعرية من خيال وصورة وطرب ونغم وعطر كلمة وتجاوب اختها الجارة في العطر والموسيقى ، ولم تكن تفوته اريحية الشاعرية ولا معادن السكر فيها وقد ترجم روائع من الفن الغربي فحمل الى العربية كل ما في الروائع من ترف البيان وترف الوجدان حتى ليغار الاصل من الترجمة وضاءة ووسامة وسعة وشمولا.

وما اردت بهذه الكلمة دراسة عبقرية الكرمي فهي عبقرية متعددة النواحي ، متعددة الطيوب والالوان ، وحق الادب فيها على الدولة ، صونا لمجد ، وحلية

---

(١) صدر العدد الاول بتاريخ ١٤ اب ١٩١٦ . (٢) صدر العدد الاول بتاريخ ١٧ اب ١٩٢٤ . (٣) صدر العدد الاول في عام ١٩١٧ . (٤) مجموعة « الف باء » لعام ١٩٢١ . (٥) فؤاد الشايب ، من مقدمة كتاب « احمد شاكر الكرمي » . (٦) من كلمة لـ « بدوي الجبل » .

لعهد ، ولكنني اسكب في كلمتي هذه حنين قلبي واشواق روحي الى الاخ الذي فقدته ، طليعة الشموس الغاربة ثم تهاوت كوكبا بعد كوكب وفتحا بعد فتح !»

وتأسست جمعية « الرابطة الادبية » بدمشق في اذار ١٩٢١ واصدرت مجلة « الرابطة الادبية » وقد جاء في العدد الاول من السنة الاولى بتاريخ اول ايلول ١٩٢١ في مقالها الافتتاحي : « الغيرة على الادب – وقد وصل الى ما وصل – حفزت طائفة من الادباء في دمشق على نصرته بل خدمته ، فبايع بعضهم بعضا بقلوبهم قبل ايديهم على تعهده والعناية به ، واعطوا صفقة ايمانهم على السعي وراء اعلاء كلمته فأسسوا « جمعية الرابطة الادبية » ولخصت الجمعية خطتها : « ان خطتنا تجمعها كلمتان : الهدم والبناء ، ونعني بذلك هدم ما تداعى من الفاسد وبناء الصالح مع حياطة المتين منه ».

نموذج من نثره : « كان الداخل الى مقهى « ديمتري» القديم في ساحة المرجة يرى صورة منصوبة فوق منضدة البليار ، تمثل شيخا جليلا هو فكتور هوغو صاحب « البؤساء » و « نوتردام دي باري » .

وقد كنت كلما اممت ذلك المقهى ، ارتاح لرؤية تلك الصورة ، واقول في نفسي : « الحمد لله الذي اوجد بين اصحاب المقاهي من يقدر الادب قدره ويعرف لاهله حقهم !» .

وابديت ذات يوم اعجابي بعمل صاحب المقهى الى صديق لي ، فضحك من قولي وقال : « كنت اظن مثلك ان هذه الصورة لم تنصب في ذلك المقام الا اكراما للادب وتمجيدا لرجاله ، حتى خطر لي ذات يوم ان ابتاع تلك الصورة وازين بها منزلي ، فذهبت الى صاحب القهوة وقلت له : « الا تبيعني ذلك الشيخ الجليل ، وتريحه من ضوضاء مقهاك وجلبته ؟» فقال لي : « وما تعمل بها انت ؟ ان هذه الصورة لا تنفع احدا سوانا ، معاشر اصحاب المقاهي ! » ، فعجبت من قوله هذا وقلت له : « وكيف ذلك ؟» فقال : « نعم لانها صورة شيخ « قهوجية » باريس !» فعلمت من تلك الساعة ان صاحب المقهى لم يكرم هوغو لادبه ، بل لتوهمه انه شيخ اهل حرفته !» .

وبعد ان ضحكنا من هذه القصة ما شاء الله ان نضحك، قلت لصديقي : « هنيئا لهوغو في قبره ، فانه اذا خسر مشيخة الادب يوما امكنه ان يستعيض عنها بمشيخة القهوجية ، ولا اظن الثانية الا اجدى عليه من الاولى ! »،

من اثاره القلمية :

(١) « الكرميات » : مجموعة مقالات وقصص في مواضيع شتى ١٩٢١ (٢) « مي : او الخريف والربيع»: معربة عن الانكليزية للشاعر الانكليزي جبو فري شوسر ١٩٢٢ (٣) « خالد » : رواية معربة عن الانكليزية للقصصي الاميركي ماريون كروفورد ١٩٢٣ .

وفي صباح الاحد الواقع في ١٢ ربيع الثاني ١٣٤٦ الموافق ٩ تشرين الاول ١٩٢٧ انطفات شعلة حياة هذا الاديب الناقد ودفن في مقبرة باب الصغير بدمشق وكتب على شاهدة قبره :

« هنا يرقد احمد شاكر بن الشيخ سعيد الكرمي مات غريبا الا من اخوانه » وتحت هذه العبارة بيتان للمرحوم الشاعر محمد البزم هما :

ثوى تحت هذا الثرى احمد ... فاشعل في القلب نيرانه
واسرع يبغي رضا ربه ... وتاريخه : ود غفرانه

وجزاء الخدمات الجليلة التي قدمها هذا الاديب الاصيل لادبنا المعاصر قررت « لجنة مدينة دمشق الممتازة » في ١٢ – ٤ – ١٩٥٥ اطلاق اسم احمد شاكر الكرمي على الشارع الواقع بين جادة الخطيب وشارع حلب على امتداد شارع عادل الكسم !

عمان — البدوي الملثم

تحية الكويت

حيي الكويت وشعبه المضيافا ... لكانني ما بينهم في يافا
حي الرجال ، اذا دعوت لنجدة ... لبوا وكانوا في السباق خفافا
هذا الكويت وقد بدت صحراؤه ... قبلا كقفر موحش اطرافا
واليوم يبدو جنة في ارضه ... طابت ثمارا في الورى وقطافا
قلب العروبة نابض في جنبه ... وندى العروبة ينفح الاعطافا
ولقد حباه الله شعبا ماجدا ... تعداده ما جاوز الالافا
لكنها الفئة القليلة في الندى ... فئة الاكارم قد زكت أعرافا
يمشون والتبر المذاب بارضهم ... مشي الاباة ترفعا وعفافا
ما اسرفوا الا بجود يمينهم ... وبباسهم ، اكرم به اسرافا
طاف الغريب فلم يجد من رافد ... فاتى الكويت فاوقف التطوافا
لا يخذل المظلوم يوما ان اتى ... ارض الكويت وآمن من خافا

لندن — فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية

***

ما يراه الزيات

هذا الادب .. عرفه الناس يوم عرفوه ، كلاما يتميز عن كل كلام غيره ، تهمس به القلوب الملهمة ، فاذا هو يعطر النفوس ، بأريج من احلامه الندية ، واذا هو ينير السبل ، ويحفز الهمم الى بعيد الغايات ، ومن اجل ذلك قالوا :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى … بناة المعالي ..كيف تبنى المكارم

ذلك هو الادب .. منذ عرفه الناس في بعيد ايامهم ، فدونوا به اثارهم ، وسجلوا به محامدهم ، وخلدواحكمهم وامجادهم ..

وكان بأسلوبه : « سفر ايوب » ، و «نشيد الاناشيد» ، و « الياذة هوميروس » ، وكتاب الفرس الخالد « الشاه نامه » .. وغيرها .. وغيرها ، مما حفظته الايام للباقين، من عهود الغابرين ..

وقد ذكرني بهذا كله ، كلام قراته لاديبنا الكبير احمد حسن الزيات ، استاذ الجيل ، وبقية السلف الطيب ، من دعاة الخير ، وبناة الفضيلة ، وفي هذا الكلام يقول بما معناه :

ان هذا الادب ، كثيرا ما تنحرف باصحابه المسالك ، فاذا هو يصبح بتأثير من انحلال في الخلق ، فنا لا ادبا ، وهوى لا خلقا ، وصناعة لا طبيعة ..

وحينئذ تصور المباذل بريشة الفنان ، وتوصف الرذائل بقلم الاديب ، ولا يبتغي الفنان او الاديب من وراء ذلك ، الا لذة القارىء لا افادته ، واثارة السامع لا افادته ..

ثم يقول الاستاذ الزيات بما معناه كذلك :

ان هذا الانحراف الادبي ، تفشى في اوروبا بعد الحربين العالميتين ، وتكشف عن ذلك نوعان من الادب ، احدهما ادب اللذة ، وهو الذي شاع وذاع وانتشر ، والاخر ادب المجون وذلك قديم ، قدم هذا الحيوان ، الكامن في اعماق كل نفس ، تصده وتكفكف من غلوائه ، بالدين ، والخلق ، والتربية الفاضلة ..

فاما الاول منهما ، وذلك ما نبغي ، فهو ادب يلذ ولا يفيد ، ويسوغ ولا يغذي ، ويشغل ولا ينبه .. انك لتقراه في اكثر الصحف ، ويطالعك في بعض القصص ، فيجذبك عرضه ، ويلذك تصويره ، ويلهيك موضوعه ، فاذا فرغت من قراءته ، لا تجد له رجعا في نفسك ، ولا حاصلا في ذهنك ..

طغى هذا الادب ، على الاقلام في اوروبا ، فهزم الكتاب النافع ، وطرد البحث المفيد ، فثارت ثائرة اقطاب الكتابة، وانحوا باللائمة على مروجيه ، وحاولوا ان يفتحوا اعين الناس على اخطاره ، بما نشروه او اذاعوا به ..

ولكن العلة كانت افدح مما ظنوا ، فان الاعصاب التي اوهنتها الحرب ، لم تعد قادرة على معاناة الجد ،واحتمال التقصي ..

ذلك هناك في اوروبا .. اما هنا فالامر مختلف ، فاعصابنا ليست موهونة من حرب ، ولا نفوسنا قلقة من ضيق ، وانما هي الثقافة الضحلة ، والامية الفاشية ، والتربية المهملة ، والصبر الفارغ ، والطبع السؤوم ، والوقت المضيع ، والحياة الهازلة ..

هكذا قال الاستاذ الزيات .. اوردته موجزا مختصرا ، دون ان اخرج به عن حدود معناه ، ولست اتعرض لحكمه هذا ، وانا اوقن بصوابه ، واعتقد صحته ، ولكني ازيد عليه :

ان معظم اقطارنا العربية ، تستفيق من عامية عريقة ، فرضت عليها خلال اجيال واجيال ، فاذا كان ما يطالعها وهي في بداية يقظتها ، ذلك النوع من الادب ، فان البلاء سيكون عظيما ، والطامة ستكون كبيرة ..

وحسبك انها ستظل واقفة عند حدود : ما يلذ ولا يفيد وما يشغل ولا ينبه ، وما يثير ولا ينير .. واي بلاء بعد هذا ؟!

ازاهير الحضارة

قال لي .. وكنا نتحدث عن الشعر في مختلف مذاهبه، ومتعدد ابوابه : قرات شعرا ، يقول فيه الشاعر ، وهو يتحدث عن حضارة اوروبا ما يلي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حين تبصر الطبيعة في ثوبها الاخضر ..
الموشى عنها بالزهور الفاتنة ..
تتفتح عنها الحياة ايام الربيع ..
حين تبصر ذلك ..
وتملأ بـه عينيـك ..
فتذهلك روعته ..
ويأسـرك جمالـه ..
عندها تذكر ابناء الحضارة الزاهرة في اوروبا ..
وقد تفتقت عنهم براعم الحياة ..
فاذا هم ازاهير جميلة ..
تنبض بالقـوة ..
ويفوح منها اريـج المعرفـة ..
وتبعث النور في الافاق المظلمـة ..
في ربوع اسيا وافريقيـا ..

قلت لصاحبي وقد بلغ نهاية انشاده : واعجبك هـذا الشعر من غير شـك ؟!

قال : انني اريد ان اعرف رأيك اولا ، وقد اشايعـك واسير معك فيما تـراه ..

قلت : سواء شايعتني ام لم تشايعني ، فاعلم ان هـذه الازاهير الجميلة ، التي تنبض بالحياة والقوة ، وتبعـث النور في الافاق المظلمة ، في ربوع اسيا وافريقيـا .. اعلم انها تبعث مع ذلك .. الموت والدمار ، في الكثيـر الكثير ، من ربوع اسيا وافريقيا ، والتفريق العنصـري في افريقيا وغير افريقيا ، والعصبية العمياء التي لا تعيش مع المعرفة ، الزاعمون انهم اهلها وحماتها ..

تبعث ذلك كله،وانه يكفي لان يتشوه معالم ذلك الجمال، الذي تغنى به شاعرهم ، وجعله موضوع شعره .. قلت لصاحبي ذلك .. فرأيت في وجهه علائم الرضى ، فأيقنت انـه معي ..

الناس هـم النـاس

حين تستقبل يومك مع الصباح الجديد ، يكون بالـغ همك ان لا تصل اليك مساوىء الناس ، وكانما لسـان حالك يردد قول حسان بن ثابت حين انشد :

وان امرءا يمسي ويصبح سالما من الناس الا ما جنى لسعيـد

ويظل همك الاول والاخير ، ان لا تصل اليك مساوىء الناس ، وان تبقى سالما من شرهم ، بعيدا عن اذاهـم ، ذلك شيء بلغ حد اليقين في النفوس ..

ولست وحدك تنفرد فيه ، بل يشاطرك فيه النـاس جميعا ، وليس ذلك يومك .

لا .. ليس ذلك كذلك .. بل هو قديم ، من ايام حسان بن ثابت ، شاعر الغساسنـة ، ثـم شاعر الدعوة النبوية الكريمة من بعد .. ومن ايام سبقت حسان بأمد طويل.. فالناس هم الناس .. وتطاحنهم في ميدان الحياة بـدأ منذ بدأوا ، وما اقدم ذلك العهد ..

فليس في الامر اذن مجال للنفي او الاثبات ، مـا دام قد وصل الى حد اليقين ، الذي لا جدال فيـه ، ولا اجتهاد ولا تأويل .. والشيء الذي بقي بين يديك ، هـو ان تسأل عن اسباب هذا الشر ، الذي يخبئه لك الناس ، ويفاجؤونك به من حيث تدري او لا تدري ..

وان تسأل نفسك قبل ان تسأل غيرك .. ولسـوف تسمع منها اذا ما تجردت عن الهوى . انك شريك مـع هؤلاء الناس ، في كل ما يصيبك منهم ، وهذه المشاركة ، اسهمت بها دون ان تفكر بعواقبها ..

اسهمت بها : حين رأيت نار الشر مضطرمة ، في وجه زيد من الناس ، فزدتها ضراما ، حين قابلت شره بشـر مـن مثلـه ..

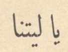
حين سمعت الهجر على لسان عمرو مـن النـاس ، فاضفت اليه هجرا ، فاستحال الى معركة .. حين لمحت التحفز من حاسد او حاقد ، فتهيأت له بتحفز وترقب.. فكان صدامكما عنيفا حين وقع .

اسهمت بهذه المشاركة ، حين فعلت ذلك كله .. ولـو انك وقفت عند الاية الكريمة التي تقول : « ادفع بالتـي هـي احسـن ، فاذا الـذي بينك وبينه عداوة ، كانـه ولـي حميم .. » .

لو انك وقفت عند هذه الاية الكريمة ، ولم تجـاوز حدود مدلولها .. لو انك فعلت ذلك .. لكبحت جماح كل شر ينحو نحوه اليك ، واوقفت كل معتد عند حده ، فارتد على عقبيه ..

وانك قادر على ان تفعل ذلك .. فما لك لا تفعله ؟!

عمان — **محمد سليم رشدان**



رباه كيف الصبا يمضي على عجل
وكيف يشكو الظما ذو الخافق الخضل
حملت مـن طيبات الحب امتعتي
طـال المسير ودربي بعد لـم يصل
وكان نـور الضحى زادي ، فما عرفت
عينـاي الا السنا في رحلة الامل
غنيـت للسعـد ، لم احفل بنائحة
ولـم اذب دمعـة يوما على طلـل
ان الجنان التـي لاحت محاسنهـا
صارت سرابا ، فما للخلد من سبل
جفت مجاري الهوى المعسول موردها
يا ليتنا مـرة ذقنـا مـن العسل
هـذه ليالـي الصبا جرداء ، متعبة
لـم تـدر في عمرها ما لـذة الغزل !

برلين — **ابراهيم شعيب**

الغفـــران

الى الوجه الجميل الذي سعى الـي فـي عيـد الربيـع

☆ ☆ ☆

يا من سعى لي في عيد الربيع لكم ... حركـت وجدا وكم هيجت اشجانا
صددت عنـي وفي جنبي منك هوى ... يسـوم قلبي من التبريح الوانـــا
أصفيتك الود لا رنقـا ولا كـدرا ... مـا حاد قلبـي عن حبي وما خانا
حفظـت عهـد ودادي ما حنثت به ... وكان عهـدك لـي زورا وبهتانـــا
وموثقا بيـن قلبينـا عبثت بـه ... كـان الوفـاء لـه عهـدا وايمانـا

طويت جرحي في صدري وما برحت ... فيه الصبابـة اعصارا وبركانـــا
ورضت قلبـي على البلوى وقلت له ... : لا بأس يا قلب ، سلواه بسلوانا
أقصـر فؤادي فما الذكرى بنافعة ... ولا بشافعـة في رد مـا كانـــا
سـلا الفؤاد الذي شاطرته زمنـا ... حمـل الصبابـة فاخفق وحدك الآنا

حتى اتيـت وكانـت منك معـذرة ... بالصمـت واستبقت بالصفح عينانا
فـي صبح يوم ربيعـي اتيت وقد ... طـل الندى الحلو اوراقا وأغصانا
فـي صبـح يـوم ربيعـي ذكرت به ... حبا مضى ، كربيع الزهر ، فينانا
ربيـع حبـي الذي ولى وما فتقت ... وروده ! وطـواه المـوت ريانـــا
اواه مـن حسـرة في القلب باقية ... علـى ربيع الصبى والحب مذ بانا
اواه من صرخة في القلب داويـة ... : أيان مني الهـوى ؟ ايـان ؟ أيانا

هذي ورود الربيع النضر قد كسيت ... بهـا الروابي التي كانت لنـا آنا
كانـت ملاعب افـراح لنـا ففدت ... مرهوبـة الصمت ، اكاما وشطئانا
أفنانها، الباسمات النور، كم عطفت ... على هوانـا ، وكم اصفت لنجوانا
وكـم جلسنا الى حنانها حقبـا ... نشيد من ساحر الامـال بنيانـا
وكـم خططنـا على كثبانها قصصا ... مـن حبنا ، وامانينا ، وشكوانا
وكـم همسنا الى اطيارهـا نغمـا ... علوية ، رددنها ، فسمعناهن الحانا
ذكرتنـي بليالـي التـي سلفـت ... وهجـن في القلب اشجانا واحزانا
ويـلاه مـن ذكر الماضي اذ انبعثت ... تهيـج مـن لاعجـات الشوق نيرانا
يا ليـت ايام ماضينا التـي سلفت ... رواجـع لفـؤاد بـات أسوانـــا
كنـا سعيديـن في حب وفي امل ... ففرقـت بيننـا الايام عدوانـــا
كنـا اليفيـن حبـل الود يجمعنا ... علـى المحبـة اخوانـا وخلانـــا
كنـا رفيقيـن مجموعيـن يشملنـا ... صفـو مـن الحـب نرعاه ويرعانا
حتـى اتـى قـدر عات ففرقنـــا ... ومـا تفـرق فـي الاخلاص قلبانـا
يا ويـح للدهر : غنانا فافرحنـــا ... حتـى بدأنـا نمـد السمع ابكانا

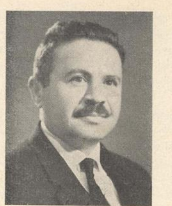
يا من اراه ، لقلبي ، واحدا احدا ... لا يرتجـى غيـره في الناس انسانا
يا مـن سأرعى له عهدي وأحفظـه ... عهدا وثيقـا ، واخلاصا ، وايمانا
يا منساحفظ ودي ، ما حييت، له ... لا تستطيع له الايـام سلوانـــا
لا تذهـب الدهـر من قلبي محبته ... ولـو تصير بحار الارض وديانـا
يا مـن ساذكره ، دهرى ، وانظره ... حتـى يعود لنا العهد الذي كانـا

يا أيها الظالم المحبوب ! حسبك قد ... جزيـت غدرك بي صفحا وغفرانا
يا أيها الساحر المعبود، ويحك، قد ... جعلـت قلبي ، لمن أشقاه ، قربانا
حملت قلبـي ما لا يستطيـــع اذا ... رجـوت مـن حبك الجبـار سلوانا
مـا زال حسنـك غلابـا بسطوتـه ... ولحـظ عينيـك فتاكـا وفتانـــا
وما يزال فؤادي ، منك ، في شغل ... عمـن سـواك ، وحاشاه وحاشانا
انـي عفوت ! وما أدرى أينصفني ... آتـي لياليك أم يرجعن مـا كانا
والان يمحو لك الماضـي ويغفــره ... قلبـي ! ويحـي من قلبـي اذا لانا

مصر الجديدة

محمود الشرقاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يوسف عبد المسيح ثروة

طبول الغرور

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

ولد سين اوكيزي ، الكاتب المسرحي الارلندي الساحر ، في شقة متواضعة من البيوت الشعبية المعروفة في دبلن سنة ١٨٨٠ ، وهناك امضى حياة صعبة لازمت سني صباه ملازمة الظل . ولما كانت لقمة العيش افضل من درس المعلم ، لم ير والده موجبا لان يرسله الى اي مدرسة . ولذا اتخذ الصبي من شوارع دبلن الداكنة مدارس له . فتعلم منها كل ما استطاع ذهنه الفض استيعابه من معلومات شتيتة ، متطايرة متنافرة ومتجانسة .

ولما شب عن الطوق اشتغل في مختلف الاعمال اليدوية من غير تحرج ، فعرف مرارة الحرمان معرفة الخبير ، وتجرع هوان العامل وذلته ، اذا ما سدت ابواب العمل والامل في وجهه ، وتمرس في احوال الضيق والشدة ، وتمرغ في اوحال الفقر ، وخاض في مهاوي الازمات ، يدا بيد مع من كان نصيبه الخفيض – في هذه الدنيا ، شانهم – في ذلك شانه . فلم يجد – في بواكير حياته – التي تسمى كذلك تجملا الا الكد والضنى والكرب والقرف والاشمئزاز ، فكان حصيلة كل ذلك – في نفسه الحساسة المرهفة – اسى واستعبارا وتأملا في البيئة التي نبت في آسن تربتها ، وفي انياب طاحونة الحياة التي قدر عليه ان يجتازها سالما . فافاد من هذه الحياة المرة تجارب عميقة تمتد – في مساربها ومصادرها – الى ايام طفولته وصباه . ومن هذه التجارب ذوات الاغوار السحيقة والاماد البعيدة والافاق الشاسعة ، نسج خيوط مسرحياته الكثيرة وشبكها في حبكات رائعة الانسجام ، عذبة الجرس والاوزان ، سلسة الاسلوب ، متناسقة الاهداف والمضامين ، كانها سمفونية موسيقية نغماتها حزينة اسيفة وايقاعها مترع بالغضب المقدس . وعلى هذه السمفونية الشجية من الحياة بنى اوكيزى كل اعماله الادبية ، وجعل منها منائر للسفن التائهة في ظلمات البحار ، ومشاعل لاهبة هادية للضائعين في مدلهمات الطرق والسهوب والشعاب .

ومن هنا ، فالجحيم الاجتماعي الذي تربى بين احضانه ، فكان له اعمق الاثر في نفسه ، ذلك انه وجد في هذا المجتمع نقيضا لمجتمع اخر ، يختلف عنه ، في كل شيء حتى في الناس الذين يعيشون في بحبوحته ونعمائه وخيراته . فاستنتج من هذا التناقض الفاضح ، ما تيسر له استنتاجه . وتبعا لذلك ، راى في الوجود الاجتماعي الاسمي ، او ما يسمى بالمجتمع مجازا ، اعجاز نخل خاوية .. لا يشد بعضه ببعض غير اوهام غبية وتقاليد مزيفة منافقة ، وقيم لها في كل يوم شأن ...

ولما كان اوكيزي ابن الحياة الاصيل ، عرف حقيقة مجتمعه حق المعرفة ، ودرس كل ما له صلة بهذه المعرفة التجريبية الواقعية ، فولد وهو – في شبابه – ولادة جديدة ، انبثق على اثرها كائنا جديدا ، فهم الطبيعة والانسان فهما نيرا مستمدا من الواقع ، ففرق بين ما هو واقعي وبين ما هو حقيقي ، ورأى ببصيرته النفاذة ، ان ما هو واقعي ينبغي ان يكون حقيقيا . وجعل همه ، بعد ان درس شكسبير وشاهد مسرحيات « ديون بوسيكو » واتصل بييتس في مسرح « الابي » منصبا على الفن المسرحي .

ولما كانت التقنية المسرحية تتطلب الصبر الجميل والمران الطويل ، فان اوكيزي لم ينجح في اثبات وجوده المسرحي الا سنة ١٩٢٣ بمسرحيته « ظل مقاتل » التي جعلت منه نجما لامعا في عالم المسرح بين عشية وضحاها ، وبذا وضعت حدا لمتاعبه الاقتصادية ..

واوكيزي انسان غاضب على المجتمع الذي تمرغ في اوحاله ، لانه مجتمع تافه حقير ، يرفع الادنياء والادعياء والمنافقين والمداجين اللاعبين على الحبال ، الهابين مع كل ريح ، المتصيدين في المياه العكرة ، اللابسين كل لبوس ، الراكبين رؤوسهم ، الساطين على حقوق المعذبين في الارض . انه مجتمع تمزقه التناقضات وتحطمه الطبقات المتناحرة . ولذا فهو بؤرة فاسدة تعيش فيها الطفيليات وتشتري فيها الافات المبيدة ، وتتكاثر فيها كل اسباب الفناء والدمار – لان التناقضات لا تنتهي لنهاية وقتية الا بعملية جراحية شنيعة ، عملية تقتيل اجماعي تواضع الناس على تسميتها بالحرب –

ومن هنا ، كان اوكيزي حربا عوانا على الحرب وعلى اسبابها في الوقت نفسه . وهذا هو السبب الذي جعله

يمزق اقنعة الوهم التي يرتديها شخوصه تمزيقا عنيفا ، فيه نقمة المكروب ولوعة المحزون ، وانتقام الانسان الذي ضحى كثيرا ولم يجد من عرفان الجميل الا الشيء القليل.

ان الوهم هو العنصر الدرامي الرئيس المسيطر على مسرحياته المعروفة « جونو والطاووس » و « ظل مقاتل» و « المحراث والنجوم » وهذا الوهم يتمثل – في اوسع مدلولاته وارحب مجالاته – في الادعاء الاجوف بالعظمة والتشدق بالكلمات الكبيرة ، والاعتلاء المرضي على سوية الناس ، والتطلع الى الامجاد الفارغة ، والتحدث البهلواني عن الماضي المشرف الذي مضى ... لكن ذكرياته لا تزال تتألق سناء وبهاء !

ولما كان اوكيزي يعتقد جازما ان وهم العظمة الفارغة والبطولة المزيفة وهم مخطر يهدد سلامة الانسانية الروحية، ويضعها في غير موضعها الملائم لها الجدير بها ، فانه لا يرى بدا من ان ينزل صواعقه المحرقة على رؤوس كل المنافقين الزنادقة الذين يسعون – من خلال نفاقهم ودجلهم واحتيالهم – الى قلب المعايير والقيم الانسانية وجعلها اسبابا موصلة الى اغراض انانية حنيقة ، فيها تركيز على الفردية الانسلاخية ، التي تقف حيال المجتمع موقف العدو حيال عدوه . والذين يتاجرون بالكرامة الوطنية والاخلاق الرفيعة والمبادىء الشريفة هم ايضا زمرة صغيرة من النفايات التي يستهدفها اوكيزي في مسرحياته . فجميع هؤلاء الواهمون المنافقون صغار النفوس ، بلداء الشعور ، عميان يقودون عميانا ، في ليلة دهماء ، نجمها آفل ، وقمرها خبيء في الغيوم السود .

تمتاز شخصيات اوكيزي بالرعشة الدرامية الحية ، وهي – في توترها وتبلبلها بين الواقع والوهم ، بين الحياة الاعتيادية وبين الحياة الزاهية الوردية التي تتراءى وراء الافق ، تعطينا صورا اخاذة للمفارقة المأساوية بين الشخوص التي تسبح في اوهامها ، تلك الشخوص التي اشرنا اليها ، وبين الناس الاعتياديين الذين يغرفون من ماء الحياة النمير الذي تتعاقب عليه السنون بين مرها وحلوها ، لكنهم لا يتجردون من انسانيتهم ولا يفرون من حقيقتهم ، حقيقة ضعفهم ، لانهم والنقاء صنوان متلازمان لا يفترقان ولانهم صرحاء اصلاء ، لم يلو اعناقهم دوار الغرور والادعاء والزهو الطاووسي ذو البهرج الكاذب والمنظر الزائف ...

ومن الملاحظ البين ان اوكيزي جعل الرجال من شخوصه من امثال جوني الشاب الصغير وابيه جاك بويل في « جونو والطاووس » ودونال دافورين في « ظل مقاتل » وجاك كليثيرو في « المحراث والنجوم » امثلة ناطقة عن الزمرة المتعلقة باوهام المجد الارجواني العتيد ، وجعل النساء من اضراب جونو زوجة جاك بويل وميني عشيقة دافورين ونورا زوجة جاك كليثيرو ، جعلهن يمثلن الواقع، في صفائه الانساني ، في سذاجته واندفاعه ، في عنفوانه ، وفي كل ما يعتمد في الحياة من مشاعر صاخبة اصيلة ، واحاسيس دافقة شديدة . هؤلاء النسوة نساء حقيقيات ، وجودهن من لحم ودم واعصاب ، وهو لهذا السبب وجود واقعي حقيقي ، لا وجود وهمي باهت تافه صغير القدر والقيمة مع زمرة الاوهام والاسقام من اشباه الرجال ...

ولما كان الكاتب الفنان جزء لا يتجزأ من المجتمع فان عليه كما يقول اوكيزي « ان يكون حيث الوجود الحي ، الفعال، المتدفق بالحركة والفعالية ، ولا ينبغي له ان يوجد في البرج العاجي والملجأ الامين ، بل عليه ان يكون بين الناس يصغي الى كل شيء وينظر في كل شيء ، ويفكر بعد ذلك في جميع ما اصغى اليه ونظر فيه (1) » ومن هذا الالتماس اللصيق تتبلور التجربة وتنصقل الموهبة ، وتتسع رقعة الرؤيا الفنية .

وقد استغل اوكيزي تجاربه الخاصة استغلالا فنيا رائعا ، وذلك بتمكنه من السيطرة التامة على لغة الاحياء الفقيرة في دبلن ، وصياغتها صياغة حوارية رائعة وبخاصة في مسرحيته « جونو والطاووس » و « المحراث والنجوم» وهو – في ذلك كله – يعد شاعر الاحياء الفقيرة في المدن الكبيرة ، كما كان صنوه ومواطنه جون سنج شاعر الريف الايرلندي بلا منازع . ومع ذلك ، فان النقاد الحديثين اختلفوا في تثمين اوكيزي الفنان اختلافا كبيرا، فان جي . س . فريزر يقول في هذا الشأن : « ان نظرة اوكيزي الى احياء دبلن البائسة نظرة حارة كريمة ، لكنها واقعية عنيفة ، ليس فيها شيء من الانفعالية مطلقا .. تتخللها روح فكاهية واسعة فعالة ، تلك الروح الحية التي هي من نصيب فقراء ارلنده .. لقد اصغى اوكيزي الى لغة الفقراء ، لكنه لم يتطلع الى ما في هذه اللغة من ايقاعات جميلة ، ذلك انه كان يستهدف الصدق ، في دائرته التي لا تستخطأ . ومن هنا فاسلوب اوكيزي غير واضح ، كما هي الحال مع سنج ..وفي بلد الشعراء ، كان اوكيزي ، في بواكير كتاباته ، نائرا دراميا عظيما مع مسحة من الشعر الاعتيادي المألوف ، كالتي كان ابسن وتشيخوف يمتازان بها . ومع ان اوكيزي ليس – على التحقيق – سيد اللغة ، كما كان سنج وييتس ، فانه درامي عصرنا ، وهو في ذلك يبز كلا منهما . » على حين يقول ريموند وليمز في هذا الصدد : « ان الاختلاف واسع الشقة بين لغة اوكيزي ولغة الدراما الشعرية ، وربما يكون ذلك اوضح في الاختلاف بين لغته ولغة سنج . فليست المسألة اختلافا بسيطا بين كاتبين .. انما هو تغيير في لغة المجتمع ، من كلام الفلاحين والصيادين في عزلتهم ، حيث جزالة اللغة ومهابتها ترتكزان بصورة مباشرة على الحياة العضوية النابضة ، الى لغة اهل المدن الجافة الباهتة عادة ، والتي لا تحتوي الا على الترانيم الشعبية والامثلة الكتابية والاغاني التجارية . »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هنا ، فليس الذنب في ذلك ذنب اوكيزي ، وليس النقد الذي يوجهه ر.وليمز الى اوكيزي نقدا موجها اليه بقدر ما هو موجه ، الى سكان المدن ، واوكيزي واحد من هؤلاء ، ولا يمكن ان يكون غير ذلك لانه ابنهم البار .

تحدثنا زوجة بويل ، القبطان الذي لم يجتز ـ في حياته ـ غير البحر الذي يفصل بين ارلندة ولفربول ، قائلة : « انني اقتل نفسي في العمل ، بينما يختال هو هنا وهناك كالطاووس من الصباح الى المساء (٢) » وهذا الطاووس الذي لا يعرف نفسه حق معرفتها ، يصر على ان له بقية كرامة ، ولهذا فهو يرى ان من حقه « ان يغادر بيته دون ان ينطلق في اعقابه حشد من الجواسيس والقوادين والمخبرين » وهو « لا يود ان ترصد حركاته بالطريقة التي يرصد بها الفلكي نجما من النجوم » . ان حياته ـ بين الكاس وجوكسر صديقه وبين الكسل ـ لا تسمح له بقراءة اي شيء حتى القصص والمسرحيات البسيطة ، لان الطاووس الزاهي لا يعرف غير الخيلاء ، ولا يجد معنى في الحياة سوى ان يستمر فيها عالة على زوجته المسكينة التي تكد وتكدح وتموت تعبا كيلا يجوع القبطان الهمام ، فيصبح مضطرا فريسة للعمل الذي تغشاه منه غاشية مرعبة ، تهد حيله وتبعثر نفسه ، فتشتد الام ساقيه ، ويبدا الوخز الفظيع في الاستيلاء عليهما الى حد الخدر والشلل . وحين يلقى بالمصادفة ذات يوم نظرة على كتب ابنته ماري يعجب من تفاهتها فيقول عن بعضها وكانه خبير بها جميعا : « بيت الدمية ، والاشباح ، والبطة البرية ـ كتب لا تصلح الا للاطفال ! » فتامل في مدى اطلاعه !

وفجاة يهبط عليه خبر بوجود شغل عند احد اقاربه ، وكان مصدر هذا الخبر الاب فاريل ، رجل الدين الذي يريد ان يعمل خيرا لانسان عاطل بطال ، وحين يرى القبطان انه قد يكون في الامر شيء من الصحة ، يثور على كل رجال الدين ويهمس في اذن صديقه جوكسر قائلا : « ان القساوسة يسيطرون دواما واكثر مما ينبغي على الناس في هذا القطر التعس » وهنا يجد جوكسر ما يروح به عن نفسه فيقول في مرح وانشراح : « ان هذه انشودة جدير بك ان تغنيها ، اذا توفر لها اللحن المناسب !»

ولما كان القبطان لا ينتظر غير مثل هذه الفرصة للغناء نراه يتساءل ـ في لهب من الحماسة : « الم يحولوا دون استيلاء الناس على القمح وهم يموتون جوعا سنة ١٨٤٧ ؟ الم يخذلوا بارنل ؟ الم يفتوا بان سعير جهنم لا يكفي لعذاب جماعة الفينيان (٣) ولو خلدوا فيه ابد الدهر؟ . واذا كانوا حرمونا كل شيء ، يا جوكسر ، فقد تركوا لنا ذاكرتنا ؟ » وتبريرا منه لكل هذا ، نراه يفلسف وضعية الكهنة ويفسرها تفسيرا معقولا ، فيقول : « عمل ، عمل ، عمل من اجلي ومن اجلك ، يريدوننا ان نشقى كالبغال من الصباح الى المساء حتى يمكن ان تنتعش احوالهم اذا ما جاؤوا الينا يحجلون مطالبين باستحقاقاتهم . » وبعد ان يثبت لجوكسر رايه هذا بالحجة التي لا تقبل النقض ، يتذكر امجاده وسفراته البحرية من خليج المكسيك الى المحيط الجنوبي ، ومن ومضات ذكراه قوله : « كثيرا ما كنت اثبت نفسي بعجلة القيادة بواسطة وتد صغير ، والريح تزار والامواج تتلاطم وتتلاطم ، حتى ليدخل في روعك ان كل لحظة ستكون فيها نهايتك » وفي هذه الومضات خيال مجنح لطيف ، وروح مغرورة خفيفة الظل، لكنها لا تبلغ حد قول القبطان وهو يحاور حواريه جوكسر في قضية زوجته العنيفة التي تسلبه راحته كلما اخلد لها ، اذ يقول : « سوف اصدر اليوم مرسوما بتأسيس جمهورية مستقلة ، ولسوف يتعين على جونو ان تقسم يمين الولاء » ...

والقبطان ، بطبيعة الحال ، رجل له اقارب عديدون ، لكنهم ـ على البعد ـ اناس لم يكن فيهم ضرر فلا نفع يرجى من ورائهم ولذلك ، لا يتورع القبطان من القول في حق احدهم ، وهو وليم اليسون ، بمناسبة الحديث الذي بدا به بنتام المحامي : « هل هو ذلك المخاتل المماطل! اذكره بالطبع . » وعندما يخبره بنتام بوفاته يصيح شامتا: « لن ياسف الكثيرون على فراقه. » وما ان يذكره المحامي بوصية القريب وحصته فيها حتى يبلغ منه الاضطراب اشده ، فيقول : « انا ، هل هو انا ، أنا ؟ » ولما تتبين له الحقيقة التي يراها المحامي كذلك ، ويرى ما اصاب زوجته من راحة ، يقول وكله ايمان بالله وتصديق في رحمته : « لن اشك في رحمة الله بعد اليوم ابدا . » ويتاسف على قريبه بقوله ، لا فض فوه : « لم اكن اتوقع ان يقضى بيل المسكين نحبه بغتة بهذه الكيفية .. »

اما وقد اصبح على قاب قوسين او ادنى من المال ، فان رايه في القساوسة قد تبدل كل التبدل ، فهو يقول فيهم : « كان القساوسة دائما في مقدمة الكفاح من اجل تحرير ايرلندا !»

ثم يبلغ به وهم الثروة حدا عنيف السيطرة حتى انه ياخذ بتلابيب فكره ، بحيث انه يشرع في البحث عن « شقة على مقربة من البحر ، ذلك انه يود لو يكون قبره في المكان الذي كان مهده لان البحر يناديه على الدوام » .

وعندما يبلغه مصاب جارته تانكريد بابنها يتغابى ويتجاهل الامر ، ويقول في مبالاة شنيعة : « يكفي هذا القدر من الحديث عن هذه الاشياء ، فهي لا تمسنا ، ولسنا في حاجة الى ان نهتم بها قيد انملة . » لكن هذا لا يحول بينه وبين وهم غروره المنتفخ ، بل هو يستفزه لينتفخ اكثر فاكثر ، ولذا يقول متشدقا : « عندما كنت بحارا ، كنت امني نفسي على الدوام ، بان اتخذ من قاع البحر مرقدي» وهكذا يمشي هذا البطل ، هذا الطاووس ، هذا الانسان الذي يعيش على كد زوجته وعرقها ، يعاونه في ذلك طبل صغير هو ابنه جوني ، فهو قد عمل في صفوف

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحركة الوطنية الايرلندية ، وضحى في ذلك السبيل بذراعه ، لكنه الان وقد تناثرت الحركة هباء يتنصل منها، ولا يكتفي بذلك التراجع ، بل هو يدلي بمعلومات الى الحكومة (التي تساندها بريطانيا ، تؤدي الى القبض على رفيقه في الكفاح ، تانكريد ، حتى يقتل على ايدي تلك الحكومة ، ومن هنا ، من خيانته لوطنه ولزميله واخيه ، تنبعث الهواجس الفظيعة في نفس جوني ، انه يتصوره في صورة مرعبة فهو يقول وقد هزه الخوف هزا عنيفا : «لقد رايته ... وهو جاث امام التمثال ... وقد سطع عليه الضوء الاحمر ... وحينما دخلت...التفت الي وحدجني بنظراته ، ثم ابصرت جراحه في صدره وهي تنزف دما .. اوه لماذا رمقني بنظراته هكذا ؟ لست مسئولا عن اغتياله .. فلتقصيه عني ، يا ام الرب !»

الثروة الهابطة من السماء ، تتباطأ في هبوطها ، ثم تنقطع اخبارها ، وبعد ماذا ؟ بعد ان اشترت اسرة بويل الاثاث الجديد ، وجددت الشقة ، بحيث اصبحت اهلا بالضيوف الكرام ، وكل ذلك على حساب الثروة المترقبة ، التي جاء بوصيتها بنتام المحامي ، واذا بالوصية ورقة لا تعدل ، في ثمنها الحبر الذي كتبت به ... واذا بالاحلام والاوهام تتبدد ، واذا بالواقع المر ينتفض من نومه الوقتي ليصفع اول ما يصفع السيدة بويل ، التي كادت تجد الراحة بعد ذلك التعب الطويل ، وبعد تلك المرارة الخبيثة التي كانت تكابدها ، في شخصي طاووسها المفلس الزاهي ، وصديقه جوكسر المرافق الداجي ، وفي نفس ولدها الخائن الجبان الكسول ، وابنتها ذات (العفة الجريحة) (٤) .

لكن الطاووس لا يرى في هذا الامر شيئا غير كرب يترتب على كرب فضيحة ابنته ماري ، التي اصبحت الان تملك حياتين ولذا فهو يقول مهونا من الخطب على امرأته : « حيث انك علمت بهذا الكرب ، فلا باس من ان تسمعي عن كرب اخر ، فالوصية لا طائل من ورائها ، لن يأتينا مال على الاطلاق .»

اما البطل الاخر ، الخطيب الجديد القديم ، صاحب المبادىء السامية ، السيد جري ، فانه يقول مخاطبا ماري ذات الحياتين « بالعمل يا ماري تسمو الانسانية فوق كل شيء ، فنحن العمال طليعة الكفاح من اجل حياة جديدة.» ويستطرد : « انني احبك ، احبك يا ماري ! لكن ماري هذه « تهب واقفة وتنظر في عينيه » وتقول : « حتى ولو ..حتى ولو.. كنت على وشك .. على وشك . (وهنا) ينظر اليها جري متسائلا ، والخوف يشيع في عينيه) ٥ ، لقد صدق ظني.. انك لا تعرف كل شيء .»

بهت جري وعرف جلية الخبر ، فماذا يستطيع الان الا ان يتراجع مقتفيا خطى الاخرين ، انه صاحب مبادىء شريفة ، مبادىء انسانية ، الا « ان انسانيته انسانية ضيقة الحدود ، كانسانية الاخرين تماما » .

ثم تحين ساعة الانتقام من جوني ، ويتم الامر بسهولة ، ويلفظ جسده في احد الشوارع ، لفظ النواة ، الجسد البض مثقوب برصاص كثير ، حتى كأنه منخل ، لم تتماسك اجزاؤه يوما ما قط . ها ان الحال التي الت بام تانكريد تلم الان بام جوني ، فيحز في نفسها ما حز في نفس ام تانكريد ، فتتألم اشد ما يكون الالم ، وتعاني هول الكارثة بمفردها ، ومع اصرار ماري ابنتها على معاونتها ، فانها تبقى وحيدة ، كالطود الشامخ ، تقاسي بشجاعة ومرارة وتشرب حتى القطرة الاخيرة من كأس الحزن الاسيف ، وبعد ان يصيبها اليأس من حالها تترك بيتها خاويا لزوجها وصديقه جوكسر ، وعندما يرى بويل ، القبطان الشجاع نفسه وحيدا مع صديقه يقول له في توكيد زاه : « اؤكد لك يا جوكسر ... ان العالم باسره في حالة ..مر ..يعة.. من الفوضى . »

وكل هذا الغرور يتضاءل بل يضمحل ازاء غرور الشاعر (المقاتل) دونال دافورين ، بطل مسرحية « ظل مقاتل » فانه يناجي نفسه بهذه اللهجة الواثقة : « يا دونال اوغ او دافورين ، طريقك مليء بالاشواك ، وخاتمتك هذه اسوأ من بدايتك . اواه ، واحزني ، الالم ودائما الالم . فانا مثلك يا برميثيوس ، لا تغيير ولا توقف ولا امل » وكل هذه المناجاة ذات النكهة الشاعرية ، لم تكن الا التفاتة منه الى طرق خفيف على الباب تولته فتاة خفيفة الظل ، حلوة الشمائل ، بديعة القسمات ، ساذجة الملامح . انها ميني الفتاة التي لا تجد ملاذا تركن اليه ، فهي يتيمة مسكينة ، ضائعة الهدف ، مرتعها هذا الشارع او ذاك ، وهي لا ترى مانعا ان تفتح قلبها على مصراعيه امام دافورين من اول وهلة ، ولذا فانها تقول ، حالما يذكرها بمغبة اتصالها به : « او تظن ان ميني باول تهتم بما يقولون . لقد كان عليها ان تشق طريقها في الحياة من غير عون الى الان ، فمن حقها الا تطلب اجازة من احد فيما تريد فعله في المستقبل .»

ميني تريد ان تحبه حبا عميقا ، وتريد ان يبادلها هذا الحب بالعمق نفسه ، لكنه عاجز ، ضعيف ، خائر ، جبان متردد ، لا يعرف في الحياة طريقا غير طريق الضباب والاوهام . وليس من دليل على كل هذه الصفات مجتمعة اقوى من قوله وهو يجيب ميني عن معرفته بما غيار ، البطل الوطني ، الشهيد « نعم ـ لا لا ، لم اعرفه ، لا لم اعرفه ، ميني » . انه يقبل ميني وتقبله ، لكن شتان بين القبلتين ، قبلته هو الباردة الرخوة وقبلتها هي الحارة النارية ، ولذا ، فانه لا يجد مفرا من القول ، بعد خروجها ووعدها بالعودة اليه ! « دونال دافورين كن حذرا ، فما انت الا مقاتل هارب ! ان الفكرة تجذب ميني وميني تجذبني . وما الخطر في ان يكون المرء ظل مقاتل ؟»

ادعاء فارغ وبطولة زائفة وحذر جبان ، هذه هي المشاغل التافهة التي تتنزى من نفسية (بطلنا) الشاعر ، ولو لم

ARCHIVE
beta.Sakhrit.com

تكن كذلك لما رايناه يصب غضبه على الشعب بقوله : « اللعنة على الشعب ، هذا الشعب الذي يعيش افراده في الحضيض ، بينما يعيش الشاعر في قمة الجبل ... ما الجمال بالقياس اليهم الا الشيء الذي يباع في حانوت الجزار . ما الحياة الا حياة تخلق لهم وهي الغاية والهدف ، اما غاية الحياة بالنسبة الى الشاعر فهي الحياة التي يخلقها هو نفسه .» وهو لا يكتفي بهذه اللعنة التي تفضل بصبها على الشعب ، بل يتعالى وينتفخ ويتطاول على نفسه بقوله وهو يحاور صديقه سوماس في موضوع الخوف الذي يزحف في الشوارع القريبة ، « لم الخوف ، فليأت الموت ، كيف يريد ان يأتي ، ومتى يشاء واين يشاء . اني اترك خوف الموت الى الشعب الذي يصلي دائما من اجل حياة ابدية . فالموت هنا ، والموت هناك ، والموت مشغول في كل مكان » .

الا ان هذا الادعاء ما ان يوضع على محك الجسد ، حتى تطير نفس دافورين شعاعا ، ولا سيما وقد توالت الانفجارات واخذ عسس الحكومة الموالية للانكليز يتصيدون الناس ، وتبين ما في الحقيبة التي خلفها ماغيار ، فاذا بها مليئة بالقنابل ، الوضعية حرجة ، والحالة تنذر بالخطر الداهم . سوماس يصلي ويقول متوسلا بمريم البتول : **« السلام لك يا مريم يا ممتلئة نعمة** ، صلي لاجلنا نحن **الخطاة التاعسين . وانت يا قديس انطون المقدس** ، الا تسمعهم يطرقون على الباب. دونال، قل فعل الندامة (٥) ، في ساعة موتنا . لقد تناثر الزجاج .» وفجأة ، في هذه الساعة المدلهمة ينطلق شعاع لطيف يمزق الظلمات ، لقد حضرت ميني لكي تأخذ الحقيبة ، ووقف الرجلان الباسلان مكتوفي الايدي ، واسرعت ميني بحملها الثقيل الى مكمنها . واخذت الشرطة بالتفتيش ، وبعد ان عجزت عن العثور على شيء ، قفلت راجعة ..

وبعد وقت قصير يسمع لغط وهياج . ان الشرطة اخذت ميني مع حقيبتها ، وان ميني لم تجد مفرا من ان تدفع بنفسها من السيارة ، وهي مسرعة ، الى قارعة الطريق وتموت كيلا تجبر على الاعتراف باصحاب الحقيبة.

وهنا ولاول مرة ، يقع قناع الغرور من وجه دافورين ، وينبقر الطبل الذي ظل صوته يتردد مدى طويلا فيقول **معترفا بالحقيقة** امام صديقه سوماس الذي يخشى عودة الشرطة : « اتدري انها قتلت كي تخلصنا ؟ » عندها يقول سوماس : « اهذا ذنبي ؟ اانا الملوم ؟ » فيجيبه دافورين : « ان الذنب ذنبك وذنبي ، ذنبنا نحن الاثنين ، نحن الجبناء السفلاء . فنحن تركناها تفعل ما فعلت .» وبهذا الاعتراف يحكم دافورين على نفسه ومن هم على شاكلته حكما صحيحا .

اما كليشيرو بطل « المحراث والنجوم » فان غروره هو الذي حطم نفسه وزوجته نورا ولذا فانها تحيطه علما بهذا بقولها : « ان غرورك سيحطمك ويحطمني .. هذا هو الدافع الذي يدفع بك الى العمل ، ولانهم جعلوا منك ضابطا فانك ستجعل من فعلتك هذه قضية مجيدة ، بينا نوراك الصغيرة ذات الشفتين الحمراوين ، تستطيع الاستمرار في الجلوس هنا ، في صحبة وحشة الليل .»

واحلى ما في تعرية هذا الغرور قول المومس روسي : « انهم لا يعيرون الفتيات الجميلات باهتمام .. فكلهم مفعمون بمزاج مقدس . وانت حين تراهم في مسيرتهم الى الاجتماع ، يخيل لك كأنهم ثلة جليلة من القديسين وجيش نبيل من الشهداء تتبختر في شوارع الفردوس . انهم يفكرون في اشياء اعلى من جوارب اي فتاة ..»

ومع كل ذلك يلتحق كليشيرو بجيش الاستقلال الارلندي ، ويمضي الى القتال بقلب مرعوب ونفس خائفة، وحافزه في ذلك خوفه من الخوف ، وهو لذلك ، ليس في ساحة القتال لانه شجاع ، بل هو هناك لان وهم الشجاعة دفعه دفعا الى حيث يجتمع المقاتلون **ليقتتلوا** ويذبح بعضهم بعضا ، وكلهم لا يدرى لماذا يقاتل ، وفي مصلحة من . ان القطيع يساق الى المسلخ مجبرا ويساق القطيع الانساني الى الحرب باوهام العظمة والابهة الفارغة والامجاد الزاهية والكلمات الرنانة .. **ولذا نرى نورا** تخاطب نزلاء الشقة التي تسكنها بقولها : « انهم خائفون من القول انهم خائفون. .لقد رأيت ذلك في متاريس شارع الملك الشمالي .. رأيت الخوف يلتمع في عيونهم جميعا .. وقد ضحك بعضهم مني لكن الضحكة كانت هي نفسها ضحكة خائفة .. وبعضهم صرخ في الا ان رعشة الخوف كانت تملأ الصرخة .»

ويشاء الحظ ان يعود كليشيرو سالما الى حضن زوجته، بعد صراع شديد مع الرصاص ومع الموت الذي يتلاعب ببنادق هذا الرصاص ، ولكنه لا يجد بدا من العودة الى القتال ، على الرغم من الحاح زوجته ، ذلك الالحاح الذي يفتت جلاميد الصخور . وقبل ان يخطو هذه الخطوة يقول : « دعيني نورا لاذهب ، اتريدينني الا اكون مخلصا لرفاقي ؟» فتجيبه والالم يمزق اعصابها تمزيقا : « لن ادعك تذهب ، اريدك ان تكون مخلصا لي ، جاك ... انا **اعز اصدقائك واخلصهم اليك** .. انهم يريدون ان تكون في الخطر نفسه الذي هم فيه » وهنا تشتد فورة الغرور في نفس كليشيرو ، فيقول وكأنه خائف من عار المستقبل : « ماذا تظنينني سأشعر اذا ما اخبروني ان زوجتي كانت تجار بالنداء بحثا عني في المتاريس ؟ اانت اعلى قدرا من اي امرأة اخرى .» ولما تجيبه بانها ليست كذلك ، يصنفها بغضب ويقول : « اتريدين ان اجعل كل ما تعرضت اليه

---

(١) فن الادب ـ ترجمة ي.ع. ثروة . (٢) شواهد مسرحية « جونو والطاووس » من ترجمة علي جمال الدين عزت . (٣) هم جماعة من الثوار الايرلنديين المعروفين ببسالتهم في الدفاع عن وطنهم.
(٤) هذه العبارة من فرائد مصطفى صادق الرافعي ، الطيب الذكر .
(٥) صلاة خاصة بالكاثوليك .

على مشارف الصحراء

☆ ☆ ☆

الجلال الذي أرى والصفاء   وبساط الرمال يا صحراء
والسكون الرقيق يقطعه الشد   و وخفق الجناح والاصداء
واختلاط الالوان في افقك   الرحب تجليه هامة زرقاء
صور عذبة عليها هناء   ولها كالصبا الانيق رواء
في بشاشاتها تسرب همي   مثلما غاب في الكثيب الماء

كلما ضاق بالشكاية صدري   شاقني ربوة هنا عذراء
ورمال مذهبات غواف   لم تؤرق اجفانها الاضواء
حالمات بما توالى عليها   وبقوم مضوا عليها وجاءوا
بالحداء الرخيم من قافلات   ضاء نجم لها .. ورق مساء
بشكايات مدلجين حيارى   المصلات حولهم والفناء
بالسماحات من حفاة عراة   لوحت نارهم ونادى الخباء
بالذئاب التي تضج وتعوي   ان بدت دون ناظريها الشاء
بغلام على الكثيب يصلي   فتحت بابها اليه السماء
فكأن الكثبان أبيات شعر   سطرتها النعماء والباساء
فهي حينا ترنم ونسيب   وهي حينا ضراعة ورثاء

يا ضفاف الصحراء اذكرتني   الله وكم اذكت التقى البيداء
كم هدت سادرا وضاءت سبيلا   ومشى فوق رملها الانبياء
لمح الله في المهامة والوحدة   تحت الاسداف وهو رجاء
ورحيم يحبه الرحماء   وقوي يخافه الاقوياء
عالم ساحر يروع مداه   والوضوح الذي به والخفاء
يغمر النفس موجه فاذاها   قطرة في بحاره .. وهباء
فكأني على رحابك موسى   حين ضمته هاربا سيناء
أنت أمن للمستجير وسلوى   أنت أمن وسلوة وعزاء

عبرت بي هناك شاء وراع   ملء جنبيه رقة وهناء
اريحي .. اغنته عما اعاني   وعن الناس .. كسرة ورداء
يتغنى بنايه فتغني   في صداه المفازة الخرساء
ليتني مثله اسوق قطيعا   وادع الخطو .. ان دعاه الحداء
راح يجري لخيمتي وجواري   مثلما خف للاب الابناء
ليتني مثله ولم تجد (ليت)   ان كذب المنى العذاب شقاء
قيدتني أهواء نفسي بقوم   هم رجال اصاغر ونساء

الاسكندرية

ادوار حنا سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من مخاطر مسخرة من المساخر ؟» وما ان يتم كليشيرو هذه الكلمات ، حتى يبادره رفيقه برينان : « اانت آت يا رجل ، ام انك ساع من اجل ترتيب شهر عسل اخر ؟ اذا انت تريد ان ترتد فقل ذلك ، حتى نذهب نحن » فيجيبه كليشيرو بوحشية : « اللعنة عليك يا رجل ، من يريد ان يقوم بدور المرتد ؟» وفي هذا الاستفهام الغاضب ، ومضة راعشة من الخوف ، وتوكيد صريح على اهمية الاعراف والتقاليد الاجتماعية في حياة البشر الاعتياديين ، وفي تماسك المجتمع تماسكا وهميا ، يستند الى مثل هذه الاعراف والتقاليد . لذا فان نورا تتعلق بكليشيرو وتشير الى برينان فتقول : « انظر جاك الى الغضب في وجهه ، انظر الى الخوف ملتمعا في عينيه .. انه هو نفسه خائف، خائف ، خائف... استدر وانظر اليه جاك . فروحه نفسها باردة مرتعشة من فكرة ما سيحدث لها »

وهكذا تبقر هذه البطلة هذين الطبلين في الوقت نفسه ، وتمضي التقاليد بزوجها العزيز الى حيث لا رجعة .

بغداد

يوسف عبد المسيح ثروة

المرح والهزل في قصر العدل في فرنســا

المحامــون والدعابــة

بقلم جان بول لاكروى ترجمة سمير شيخاني

* * *

اصبح « الضحك في قصر العدل » الفرنسي اسطورة .. فلقد انقضى الزمن الذي كان فيه المحامون والقضـــاة يتنافسون في اظهار خفة الروح ، وفي اطلاق النكات في اثناء الجلسات . وقضاة اليوم ومحاموه انـــاس مهمومون مستعجلون ، ولم يعد العصر عصر مرح ودعابة ، وتنكيت . هيهات ! ان الامر ليختلف اليوم تماما عنه في سنة ١٩٠٠ ، وما بعدها حتى سنة ١٩٣٠ ...

☆ فالمحامي ليون كليري ، كان وقتذاك من الابطـــال المنسيين اليوم . فهو الذي بدأ مرة احدى مرافعاته بقوله : « وكما لا يخفاك ، يا سيدي الرئيس ، فلنا نحـــن الاثنين ، انت وانا ، العشيقة نفسها ... »

ورانت على المكان فترة قصيرة من الصمت والوجوم ، ولم يحر القاضي جوابا ، واذا بالمحامي كليري يتابع كلامه قائلا : « ... اجل ، العلوم القانونية ! »

☆ وكان المحامي فيشر يزن اكثر من مئة كيلوغرام ، وكان خشنا في كلامه غليظا . وقد طالبه يوما احد القضاة بقوله : « ايها المحامي ، هذه القضية دقيقة جدا ، فارجوك الا تتنزه فيهــا كالفيل وسـط حانوت فيه اواني مـن البورسليـن . »

وعندها قال المحامي :

« ان تشبيهك هذا ، يا سيدي الرئيس ، ذات وجهين : فهي تنطبق انطباقا رائعا على ضخامة جسمي وسرعـــة عطـب تفكيـرك ! »

☆ وكان المحامي ريمون هيس في العطلة ، فتلقى مـن احد موكليه ، وقد برئت ساحته على الرغم من كل الشكوك التي احاطت بقضيته ، البرقية التالية : « لقد انتصرت القضية العادلة ! » فأجابه فورا بالبرقية التالية : «استأنف!»

☆ والمحامون لا يحبون ان يحدد لهم القضاة فتـــرة كلامهم . فقد قام مرة المحامي كليري (اجل كليري نفسه) ليقدم دفاعه ، وكان دفاعا بليغا اقتضى منه تحضيــره وقتا غير قصير ، وكان مقدرا له ان يستغرق ساعتيـن كاملتين ، فالتفت اليه رئيس المحكمة وقال له ، وهـــو العـارف بتطويلـه :

ــ اختصر ، ايها الاستاذ ، ارجوك !

فاستاء كليري مـــن ذلك ، واشار باصبعه الى موكلـه قائلا : « هو ، بريء . » ثم اشار الى المدعي العام فقال : « هـــو سيء . » ثم توجه الى الرئيس بقوله : « انـت ، قاض طيب . » وجلس وهو يردد : « انا ، انتهيت ! »

☆ سوى ان اغرب ما قام به محام على الاطلاق ما ينسب الى المحامي كلونيه ، وكيل الجاسوسة الراقصة الشهيرة ماتاهاري . فلما حكم على موكلته بالموت ، ورفضت طلبات الاستئناف ، ثم العفو ، طرا له فكرة جهنمية لتاخير موعد التنفيذ ، لعلها الفكرة الاولى من نوعها في تاريخ المحاكم . فقد ادعى ان ماتاهاري حامل ! فلما قيل له ان ذلـــك الادعاء مستحيل لان احدا لم يقربها من الرجال طـــوال شهور ، بل طوال سنوات ، قال بكل هدوء :

ــ بلى ، انا !

لقد كانت ، ولا ريب ، كذبة ، ما لبث طبيب السجـن ان كشفها من اهون سبيل . واعدمت ماتاهاري رميـــا بالرصاص ... ولكن الفكرة بحد ذاتها تبقى مبتكـــرة ، فريدة في نوعهـــا ...

☆ وبعد هؤلاء يبرز محام لامع ذكي ، هـــو مورو ــ جيافيري ، اقوى الاصوات التي دوت في قصر العـدل الفرنسي فـي النصــف الاول مـــن القرن العشرين الذي نعيش فيــه .

فقد قال احــد خصومه من المحامين ، وكان يثائـب ويفافىء ، يوما لرئيس المحكمة : « انا .. اط .. اطلب الكـــلام ! »

فتمتم مورو : « ايها الزميل العزيز ، يستحســن ان تطلب ذلك من الله ! »

ومورو ــ جيافيري من اصل كورسيكي ، موطـــن نابوليون . وقد استهل مرة مرافعته بقوله : « كورسيكـا هذه الاوروبية التي اعتدنا ، ايها السادة ، على تسميتها فرنســـا ... »

ومذ ذاك ومواطنوني في اجاكسيو ما فتئــوا يتندرون بها ويعلقــون عليهــا .

☆ ومن الاصوات التي ارتفعت عاليا في قصر العدل في فرنسا صوت المحامي المعروف هنري توريس ، وكـــان لاذع اللسـان ، سريع الخاطر والنكتة . اليس هو القائل عن احد زملائه الطيبين : « آه ، انه محام ممتـــاز ، لا يعوزه غير الكلام ! »

ولكن صوت توريس كانت تفسده صفرة ترافق لفـظه حرف السين ، وله تعليق طريف على ذلك اذ يقـــول :

ــ وهذا ما اجبرني على ترك مهنة التمثيل . فعندما تقدمت الى معهد التمثيل للامتحان كان من سوء طالعي ان طلب الي تلاوة مقطع من احدى تمثيليات راسين يكثر فيهـا حرف السين . فاستبعدتني لجنة التحكيم على الفور !

☆ تضم نقابة المحامين الباريسية حاليا ٣٥٠٠ محـام بينهـــم :

ــ مئة محام من ذوي السمعة الطيبة .

صفقة

بذلت ودي لابتاع الوفاء به
فبادر العرض لما اقبل الطلب
وباعني صاحبي من فضله طرفا
بمبلغ دون ما يرضى به الحسب

القاهرة **سلامة خاطر**

— عشرون محاميا هم حقا من نجوم قصر العدل اللامعين ، اولئك الذين يجتذبون الصحفيين الى قاعة المحاكمة حتى لو كانوا يترافعون في قضية سرقة ارانب . . كما يجتذبون الى محكمة الجنايات الجماهير الغفيرة . . . ويدعى هؤلاء كذلك اصحاب الاصوات « التينور » . . .

— وخمسة او ستة « وحوش مقدسة » هم ريمو او سارة برنار قصر العدل . ومن هؤلاء المحاميان الكبيران ، المتنافسان على الشهرة : رينه فلوريو ، وموريس غارسون : الثنائي الظريف ، الذكي .

انهما عدوان قديمان ، حميمان ، وخصمان لا يفترقان! العلامات الفارقة بينهما : موريس غارسون هو عضو في الاكاديمية الفرنسية ، وفلوريو صياد ماهر . يطارد الوحوش في ادغال افريقيا ، في صيف كل سنة . . .

✲ وفيما يلي بعض اقوال رينه فلوريو ، محامي الجزاء الاشهر في قاعة المحكمة :

— كان يترافع عن امرىء يدعى ميسيفي يتعاطى التطبيب دون ان يكون حاملا شهادة ، فقال للقضاة : « ينعون على موكلي انه ليس طبيبا . وانا انعى على الاطباء انهم لا يشفون جميعا مرضاهم مثله . »

— قال للنائب كابدوفيل الذي كان يدلي بشهادته في قضية بودونان : « لا تبتسم ، يا سيدي ، فما هنا الجد يسيطر ، فلسنا في قاعة مجلس النواب » .

— وصف زميلا له بقوله : « المحامي فلان متواضع ، ومتواضع بحق وحقيق . . . »

— وبصفته وكيلا عن الحقوق المدنية في قضية بولين دوبويسون قاتلة عشيقها التي حاولت الانتحار في سجنها: «الواقع، يا انستي ، انك لا تنجحين الا في قتل الاخرين!»

— والمحامي فلوريو شديد التمسك بعذوبيته . سألته مرة الصحفية الخفيفة الظل كارمن تيسيبه : « ايمكنك ان تقول لي لماذا لم تتزوج ؟ » فكان جوابه : « وما فائدة ذلك ، كل اصدقائي متزوجون ! »

✲ اما زميله ومنافسه اللدود المشترع والمحامي موريس غارسون فرجل ذو كبرياء ، بطاش ، تراه لا يذكر لقبه كعضو في الاكاديمية الفرنسية ابدا مع انه لا يدعه فرصة للنسيان لحظة واحدة . وتلك هي الشخصية التي يمثلها. الا اننا اذ عرفنا ان اصدقاءه الحميمين هم هنري جانسون، وجان غالتييه — بواسيير ، والرسام بول كولان ، ايقنا انه في الحقيقة امرؤ بوهيمي النزعة ، وساخر ، وذو روح مرحة .

وقبل فلوريو وغارسون ومنافستهما الشديدة في قصر العدل عرف هذا القصر منازعات ومنافسات شديدة بين محاميين شهيرين هما فنسان دو مورو — جيافيري ، وسيزار كامبينكي (الاول توفي سنة ١٩٥٦ عن ٧٨ سنة ، والثاني سنة ١٩٤١ عن ٥٩ سنة .) فطوال ثلاثين سنة كانت « عداوتهما » دون اي سحب قاتمة . . .

ومما يروى من نوادر مورو — جيافيري انه قال ذات يوم عن احد موكليه : « ان موكلي لم يحكم من قبل. . . » **فلما قال له رئيس المحكمة** : ولكني ارى في ملفه خمسة احكام سابقة » قال المحامي اللبق : « طبعا ! ولكنه اشترك في الحرب وجرح فيها . وتجمد قليل من دمه الاحمر القاني على سجله العدلي الاسود فحول الصفحة بيضاء ناصعة ! »

الا ان هذا الرجل ذو القلب النابض بالحرارة كان باستطاعته ان يكون لاذع القول . فالجميع يذكرون ان احد زملائه قال مرة لرئيس المحكمة : « انا اط . . . اطلب الكلام . » ذلك بانه كان يفأفىء ، فتوجه اليه المحامي الكورسيكي الاصل قائلا : « ايها الزميل العزيز يستحسن ان تطلب ذلك الى الله ! »

✲ اما كامبنكي فانه كان اشد لدعا منه ، وهذه بعض اقواله التي ما تزال تردد في اروقة قصر العدل ، نعى عليه المدعي العام ذات يوم كونه « يقدم مساندته ومهارته الى مجرم سافل » كالذي كان يدافع عنه وقتئذ ، فرد عليه بقوله : « لكم يسرني طبعا اتولى الدفاع فقط عن الاساقفة و « ابناء مريم » .

اما حوادثه مع شهود الخصم فعديدة ، وكثيرون منهم يأسفون بمرارة لكونهم مثلوا امام المحكمة وبعضهم لكونهم جاءوا الى هذا العالم . من ذلك ان امراة وصفت بانها مومس في قاعة المحكمة بعد ان تأكد كامبنكي من مراجعة ملفها الخاص انها لفتت قبل خمس وعشرين سنة اليها اهتمام شرطة الاخلاق . فلما قامت تحتج بشدة على هذا الوصف متذرعة بسلوكها الحسن طوال ربع قرن من الزمن ، قال لها اذاك بكل هدوء :

— يا سيدتي ، عندما يكون المرء وزيرا ، وتكون المراة ساقطة ومن بائعات الهوى ، ولو ليوم واحد ، فانه يحق للواحد منهما ان يحمل اللقب طوال حياته .

وكان سيزار كامبنكي يعرف ما يقول ، اذ انه عمل وزيرا اكثر من عشر مرات !

سمير شيخاني

ARCHIVE beta.Sakhrit.com

سافر الاستاذ

بقلم جرجي نقولا

كانت « الصوبيا » مشتعلة ببطء يصدر عنها هدير خفيف كلما علا صفير العاصفة في الخارج ، والجو ناعم حالم في هذه الغرفة الصغيرة التي لا ينقصها سبب من اسباب الراحة والهدوء . ففي زاوية منها سرير للنوم بجانبه مصباح كهربائي ومفتاحه، وفي زاوية اخرى طاولة عليها مصباح اخر وكتب واوراق كثيرة ، والة كاتبة ، وبجانبها « صوفا » وبعض مقاعد صغيرة ، وكرسيان مريحان بجانب الصوبيا . هذه الشقة تخص الاستاذ حتحوت الدبشة الذي كان مسافرا الى اميركا وعاد في الصيف الماضي ، بعد ان قضى هناك سبع سنوات ، تلميذا اولا ثم استاذا .

الاستاذ حتحوت الدبشة من قريتنا ، يناهز السادسة والثلاثين من العمر ، نحيل القامة ، يمشي مترددا خائفا ، منحني الكتفين ، لا يحدق في وجه احد بخط مستقيم ولا يبتسم الا نادرا . انه ضعيف الشخصية كما يقولون عنه في القرية ، ولكنه من الاشخاص القلائل الذين يفعلون ما يريدون — ضمن حدود طاقاتهم طبعا — دون ان يأبهوا لراي الاخرين بهم . وقصة ذهابه الى اميركا تحصيلا للعلم والمعرفة قصة طويلة لا مجال لذكرها الان . يكفي ان نذكر انه بدأ سنته هذه استاذا في المدرسة التي تخرج منها ، وفجأة ، ولم تنتصف السنة بعد ، خطر له ان يعتزل المدرسة ويستقر في بيته دون ان يؤدي عملا ، لسبب لا يعلمه احد ، وقد يكون هو نفسه على غير علم به . ما أسف له الناس فقط ، خاصة اقاربه واصدقاؤه ، هو المعاش الضخم الذي كان يتقاضاه . ولكنه هو لم يكترث لهذا المعاش ، على الرغم من انه لا يعرف السبب الذي من اجله تخلى عن هذا المعاش . قد يكمن السبب في انه يؤلف كتابا . ولكن هل يجرؤ على ان يقول حتى لنفسه انه يؤلف كتابا ؟

كان قد نشر كتابا في مطلع هذه السنة ، مجموعة قصص باللغة العربية ، جعله اضحوكة اهل القرية لمدة طويلة . ذلك لانه قال فيه اشياء كثيرة من اسرار القرية لا يصح ان تقال . فهل من المعقول بعد هذا ان يقول انه يؤلف كتابا حتى ولو كان بغير اللغة العربية ، وشيئا غير قصة؟ مع ذلك من يدري ؟

وفي هذه الساعة التي دخلنا فيها بيته ووصفناه ، ورأينا الصوبيا مشتعلة ، لم يكن هو هناك . ويجب الا يدهشك كون الصوبيا مشتعلة وصاحب البيت غائب ، فهو يحب راحة نفسه كثيرا كما قلنا ، ويحب، عندما يعود من سهرته ، ان يجد شقته دافئة ، فيجلس راسا الى طاولته ويدون ما يكون قد خطر له اثناء سهرته او على الطريق ، او يأوي الى فراش دافىء اذا لم تراوده الكتابة . وفي هذه الليلة بالذات عاد باكرا من سهرته ، فها هو يدخل فرحا مرحا على غير عادة ، ووراءه سهيل حطاب ، صديقه الوحيد في هذه القرية الذي يستطيع ان يفتح له قلبه ويطلعه على خفاياه . سهيل شاب طيب ، تجاوز الثالثة والعشرين من العمر ، ضخم الجثة ، غليظ الاصابع ، واسع الابتسامة ، فيه ما يدل على انه سوف يصبح اضخم جثة . هو الى جانب هذا حاد الذكاء مخلص ، اجتماعي من الطبقة الاولى . وهذه الصفات ورثها عن والده ، ووالده وزعها على جميع اعضاء العائلة . لهذا اصبح الاستاذ حتحوت صديق هذه العائلة بنوع خاص . .

جلس الاستاذ حتحوت على كرسي مريح بجانب الصوبيا واخذ ينظر اليها ويفرك كفيه ببعضهما البعض دون ان يتكلم ، انما كان جليا في ملامحه ان لديه كلاما كثيرا يريد ان يقوله ، بينما جلس رفيقه على الكرسي الاخر ، قبالته تماما ، واخذ ينظر اليه ويكاد يسحقه بنظراته ، منتظرا منه ان يبدأ الحديث . لكن الاستاذ حتحوت لم يبدأ ، اخيرا قال سهيل بلهجة بسيطة ، لهجة فلاح من القرية:

— خير ان شاء الله ؟

فاجاب الاستاذ حتحوت دون ان يفكر ، ودون ان يرفع رأسه عن الصوبيا :

— ما هو الخير ؟

— الخير ؟ الخير هو ان تتكلم . ان تقول لي ما بك . ان تقول لي لماذا سحبتني من البيت ، من سهرة كنت احبها اكثر من اي شيء في هذا العالم؟

لكن الاستاذ لم يجب . فاستمر سهيل :

— قل . هل اتيت بي الى هنا لكي لا تقول شيئا ؟ لتجعلني انظر اليك ، وانت تنظر الى الصوبيا وتفرك كفيك ببعضهما بعضا ؟ لا ارى في الطقس سببا للبرد ، هناك سبب اخر ، ما هو ؟

— ما هو ؟

— لو كنت اعلم ما هو ، هل تعتقد اني كنت اسألك ؟

— تعملها ، تسألني . ربما لتمتحنني ، وربما لتمتحن ذكاءك وقوة فراستك .

— دعنا من الفلسفة الان ! عقلي ليس كله هنا ، ما يزال القسم الاكبر منه في البيت يتدفأ بجانب الموقد او يلعب الورق مع اللاعبين . .

— انا بانتظار ان يعود ذلك النصف من البيت .



ـ تعني انه حديث هام ؟
ـ بالنسبة الي على الاقل .
فصمت سهيل قليلا وقال :
ـ تعني انك تطلب مني نصيحة ؟
ـ شيئا من ذلك .
ـ **عجبا ! انت الذي لا يعجبك** شيء اعمله لنفسي ، تطلب مني ان ادلك على شيء تعمله لنفسك ؟
فأجاب الاستاذ حتحوت دون ان يتحرك من مكانه ودون ان يعدل من جلسته كأنه حديث ردده امام نفسه الف مرة :
ـ هذه هي المشكلة . مصيبتي اني احب الاخرين اكثر من نفسي ، اخلص للاخرين اكثر مما اخلص لذاتي . ولولا هذا لوجدتني انظر اليك بكل قحة ، لوجدتني اضرب الناس ، اعتدي على الناس ، اصرخ في الناس كما يفعل جميع الناس مع جميع الناس .
واستطرد بعد صمت قصير :
ـ انا غريب عن نفسي .
فابتسم سهيل ابتسامته العريضة وقال :
ـ اتيت بي الى هنا لتحدثني عن نفسك ، وعن غربتك عن نفسك ؟
ـ هذه اول مرة ، وربما اخر مرة ، احدثك بها عن نفسي من اجل نفسي . انا طبعا كنت دائما احدثك عن نفسي ، وانت كذلك . ولكن مشكلتي هي اني اتحدث عن نفسي من اجل الاخرين ، بينما الاخرون يتحدثون عن انفسهم من اجل انفسهم . ويتحدثون عن الاخرين من اجل انفسهم ايضا .
ـ كفاك ! كفاك فلسفة وفخرا وادعاء ! . .
فرفع الاستاذ حتحوت راسه فجأة كمن اصيب بآلة حادة ، ونظر الى رفيقه لاول مرة وقال :
ـ انت؟ سهيل؟ انت تقول لي هذا؟
ـ خلصني يا اخي ! قل ما تريد .
ـ انت الوحيد الذي يعلم باللعنة التي ارزح تحتها . انت الوحيد الذي يعلم العلة التي تكبلني وتجعلني رجلا مختلفا عن الناس . انت تحسب لعنتي نعمة وعلتي رحمة ؟ ماذا تركت لغيرك اذن ؟
فصمت سهيل اذ راى انه مس وترا حساسا بقلب رفيقه . بينما استطرد هذا الرفيق :
ـ نعم ، انا احب الاخرين اكثر من نفسي . وهذه ليست نعمة ، انها اللعنة بعينها ! هل تعرف ماذا يعني اني احب الاخرين اكثر من نفسي ؟ يعني اني انهزم امام الناس ، ويعني اني لا احب ولا استطيع ان اقف عقبة في طريق احد مهما كان صغيرا وضعيفا . واني لارضى بكل ما يرفضه سواي لكي لا آخذ شيئا يحتاجه سواي . هذه هي اللعنة التي ارزح تحتها ، ولعلي الان ، في هذه الليلة بالذات ، اشعر بثقل هذه اللعنة لاول مرة . انا احب ان اكون مثلك ، مثل اي واحد من الاشخاص العاديين . احب ان انطلق ، ان اعيش ، ان افعل ما يفعله الناس . احب ان اضحك كما يضحك الناس . وبكلمة اخرى احب ان اكون رجلا طبيعيا كأي واحد من الناس ، بيد انني لا استطيع . لا استطيع . لماذا ؟ من خلقني هكذا ؟ الله ؟ امي ؟ امي ؟ انا خلقت نفسي هكذا ؟ لست ادري . كل ما ادريه اني لست هكذا ، واني لا استطيع ان اكون غير ما انا . عزائي فقط ، وهذه هي نقطة الضعف الوحيدة ؟ وانت تفهمها ولا شك دون ان اقولها لك صراحة . عزائي الوحيد اني اجد من حين الى اخر رجلا يفهمني قليلا ويدخل عالمي ويحدثني عن نفسي فيشعرني ان نفسي لي وليست **غريبة عني . .**
فاجاب سهيل بهدوء بعد صمت قصير :
ـ استاذ حتحوت ، انت متشائم جدا . متشائم . هل تعرف انك متشائم ؟
ـ اعرف ، اعرف . وانت تعرف ايضا ان عندي سببا يجعلك . . .
فقاطعه قائلا : ـ اعرف اعرف . ومع ذلك هو تشاؤم مهما قلنا انه الحقيقة وانه الواقع . تغيير الاسم لا يغير من طبيعة الواقع شيئا . انت متشائم لانك لا تعترف او على الاصح لا تحب ان تعترف بفضيلة هذه الاخلاق التي تحدثني عنها وتقول انها لك . انت لا تعرف ما قد يصدر عنها من فن وكبر و . . .
فأسرع الاستاذ حتحوت يقول بقرف بالغ :
ـ اسكت يا شيخ اسكت ! لا تحدثني عن الفن ولا عن الكبر ولا عن اي شيء من ذلك . .
ـ معك حق . اخطات ، اعني اخطات التعبير . ما اردت ان اقوله هو ان هذا الفن والكبر ، او الشعور بالكبر ، يختصان بك ، وينفعانك قبل ان ينفعا غيرك . انهما يفتحان ذهنك على حقائق لا اعرفها انا على الاقل ، ولا يراها كثير من الناس . اذا كنت صريحا مع نفسك دون ان تدخلني انا مثلا الى داخل ذاتك ، الا تشعر بفخر انك تعرف اكثر مما اعرف انا ، انا الذي تحسبه خيرة اهل هذه القرية ؟
ـ بلى بلى ، هذه هي الحقيقة . اشعر بفخر و . . .
فقاطعه : ـ هل الشعور بالفخر لعنة ؟ ما الذي يسعدني بالحياة ، وما الذي يدفع الدم في عروق مخلوقات الله جميعها ، من اعلاها الى ادناها ، سوى الشعور بالفخر والتفوق ؟
ـ معك حق . لكن دعني اكمل حديثي . اشعر بفخر وتفوق ، بل اكون في الواقع اعلى منزلة من سواي، لكن من جهة اخرى ، جهة لا يشعر بها سواي ، وهذه هي المصيبة ! اذا تفوقت انت على غيرك مثلا وجعلته يشعر انك تفوقت عليه ، فالمعنى انك تفوقت عليه . لكن اذا تفوقت في بيتك ورأيت نفسك اكبر من الناس، وجعلت الناس يعترفون انك اكبر منهم دون ان يعرفوا كيف ، ودون ان يشعروا بانفسهم ، فهذه مشكلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانا على ثقة انك انت لا تشعر بهذه المشكلة لانك لم تعانها ، ولانك تنظر اليها من بعيد كما تنظر الى رجل في قصر ضخم . لا يا صاحبي لا . انها مشكلة ، مشكلة عزلة . والعزلة هي العزلة حتى وان كانت في السماء . لو كان باستطاعتي ان اصفع رجلا واجعله يشعر بتفوقي عليه ، لافضل عندي الف مرة من ان يعترف بتفوقي عليه دون ان يشعر بنفسه .

ـ لكن .. اعتقد انك تتكلم عن شيء داخل نفسك ، عن شيء خاص، عن حادثة معينة ؟

ـ انا فعلا اتكلم عن حادثة معينة ، لكني اردت ان اقول لك اولا ان سعادة الانسان لا يمكن ان تكون بمعزل عن الاخرين ، مهما كان هذا الانسان متفوقا ومهما اعترف له الاخرون بافضليته عليهم . انت على ما اظن ، انت الذي هو خيرة هذا المجتمع الذي نعيش فيه انا وانت ، اذا اردت ان تحكم على شخص ما فانك تحكم عليه بناء على صلتك به ، ولا على ما تراه او تعرفه ، او ما يعرفه الناس عنه . واذا فعلت غير هذا تخدع نفسك بنفسك .

ـ كيف ؟ لكن قل لي اولا : ما هي الحادثة المعينة التي تتكلم عنها ؟ هل تستطيع ؟

ـ بالطبع استطيع . ولهذا السبب سحبتك من بين الناس الى هنا . اريدك فقط ان تستحضر عقلك الكامل جيدا ، لانه شيء يختص بك .

ـ يختص بي انا ؟

ـ نعم .

ـ خير ان شاء الله ؟

ـ ما هو الخير ؟

قالها رفيقه بسرعة ، بنفس اللهجة التي قالها بها في المرة الاولى، فاجاب بنفس تلك اللهجة ايضا :

ـ الخير هو ان تتكلم . الخير هو ان تقول لي ما هو هذا الامر الذي يختص بي ولم تتكلم عنه شيئا بعد .

ـ الخير هو ان تستحضر عقلك كاملا ، ولو كان عقلك كاملا منذ البداية لربما كنت فهمت ...

ـ حقا ؟ اذن انت المسؤول لانك اخترت هذه الساعة بالذات لتحدثني عن هذا الامر الهام الذي يختص بي

ـ لست انا المسؤول ، ولست انا الذي اختار هذه الساعة بالذات ،بل هي التي اختارتني . لكن دعنا من هذا الان ، انه موضوع اخر .

وصمت . وصمت سهيل ايضا لانه يعرف جيدا ان لا جدوى من السؤال . هناك شيء في اعماق الاستاذ سيقوله عندما يريد هو لا عندما يريد سواه .

بعد قليل رفع الاستاذ راسه وقال:

ـ سهيل ، انا اعجبك ، اليس كذلك ؟

فاجاب سهيل ببرود ، ربما لينتقم منه :

ـ ما قولك انت ؟

ـ انت دافعت عني ضد نفسي ، اعني انك دعوت خيرا ما دعوته انا شرا . لماذا ؟ هل تعتقد فعلا انه خير؟ ام انك دافعت عني لاني اثرت بك حاسة الجدل فقط ؟

ـ ماذا تقول انت ؟

ـ فلنكن واقعيين الان ، انه امر هام يختص بكلينا كما قلت لك . لماذا دافعت عني ضد نفسي ؟

فصمت سهيل قليلا وقال بجد :

ـ انا الان ، ودائما بالنسبة اليك، اعني كل كلمة اقولها .

ـ عال ! انا اعجبك اذن ؟

ـ تعجبني ؟ انت تعلم ان حديث الناس واللعب بالورق في بيتنا ، والجلوس بجانب الموقد ، خاصة في ليلة ماطرة كهذه ، انت تعلم كم يعجبني هذا . والان علمت ولا شك اني كنت انتظر ان اعجب بحديثك اكثر ، ولولا هذا لما اتيت معك حالما دعوتني . هل خطر لك هذا ؟

ـ لو لم يخطر لي لما فكرت ان ادعوك الي واجعلك تترك هذه السهرة التي تحبها . لم اتعود ان افشل حيث اعلم اني سانجح .

ـ حسنا . ما هو هذا الشيء العظيم الذي تريد ان تحدثني والذي يختص بي وبك ؟

ـ تذكر ما قلته لك الان ، من اني لم اتعود ان افشل حيث اعلم اني سانجح .

ـ هل تطلب مني شيئا ؟

ـ ربما .

ـ شيء يختص بي واستطيع ان اهبك اياه ؟

ـ ربما . اني اطلب منك على الاقل ما تستطيع ان تهبني اياه ، لا اكثر .

ـ هيا تكلم .

فصمت الاستاذ حائرا خجلا لا يعرف ما يقول ، ثم قام واخذ يتمشى بارض الغرفة مطرقا . وعندما وصل الى الجدار اخذ يقرعه باصبعه ويقول:

ـ اخشى ان تكون للجدران اذان تسمعنا وتنقل حديثنا للخارج ، فتجعلني اضحوكة للناس مرة اخرى .

ـ عجبا ! اعظيم بهذا المقدار ما تطلبه مني ؟ ما هو هذا الشيء الثمين الذي املكه انا يا ترى ؟

ـ الان الان ، في هذه اللحظة بالذات قبل ان تعرف ما هو ، ليس ثمينا بهذا المقدار . متى يبدا الانسان بتثمين شيء ما يملكه ؟ عندما يفكر انه سوف يخسره ، اليس كذلك ؟ وكيف يثمنه؟ نسبة لحاجته هو اليه؟ ام حاجة الاخرين اليه ؟ لا ادري ، هذا ليس موضوع بحثنا الان . قل لي : ما هو هذا الشيء التافه الان ، الذي سوف يكون ثمينا جدا عندما اجعلك تفكر في خسارته ؟

ـ ما هو ؟

ـ فكر .

ـ قل لي انت ، ليس لي جلد على التفكير الان .

فصمت الاستاذ وعادت اليه حيرته . فقال سهيل :

ـ تكلم ، ليس للجدران اذان .

ـ هل تعاهدني انك لن تجعل لها اذانا ؟

ـ اعاهدك . تكلم .

ـ لماذا انت مستعجل هكذا ؟لتعلم ما هو الشيء الثمين الذي تملكه دون

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

ان تشعر ؟ ام لتخسره ؟

— لهذا ولغير هذا . تكلم . ماذا تطلب مني ؟

فتقدم الاستاذ ووقف بجانبه وقال بهدوء :

— سهيل ، الاشخاص الذين هم مثلي لا يتزوجون ! الاشخاص الذين هم مثلي خلقوا لكي يكونوا الضحية ، لكي يكونوا الخراف التي تذبح لاجل خلاص العالم . خلقوا لكي يهبوا الاخرين الحياة وهم منها محرومون . لماذا هذا ؟ وهل هو حق ؟ هل يعني شيئا الا ان الحياة سخيفة ، تافهة ، لا تستحق ان تعاش ؟ كيف يهب الحياة من لا يملك الحياة ؟ ولماذا يصدق الناس رجلا كاذبا تقتله شهواته ؟ انا لا اريد هذا ولا احبه . اريد ان اكون رجلا عاديا كأي من الناس ، حتى ولو خسرت نعمة التضحية ، اذا كان للتضحية نعمة .

— حسنا . اجلس . تعال اجلس وقل لي كيف استطيع ان اساعدك انا ، على افتراض ان هذا يهون عليك وعلى افتراض اني اوافقك .

فجلس الاستاذ وقال : — اما انه يهون علي او لا يهون ، فهذه مشكلتي قبل ان تكون مشكلتك . هل انت توافقني ام لا ؟ هذا ما اريد ان اعلمه منك .

فتردد سهيل قليلا ، فاسرع الاستاذ يقول : — انت لا تريدني ان اعيش كواحد من الناس يا سهيل ، مثلك ، مثل راعي الماعز ، مثل اي واحد ؟ الم ترني كيف كنت جالسا في بيتكم الان منفردا في زاوية مع نفسي كاني لا شيء ؟ ام انك كنت تنظر الي بفخر وتقول بنفسك هذا عبقري وصانع عجائب ومعجزات ؟

فابتسم سهيل واجاب : — كلا ، لم اكن اقول شيئا ، ولم اكن انظر اليك بفخر الا بمقدار ما كنت تنظر الى نفسك انت ، وراض عنها . انا بالحقيقةاريدك من كل قلبي ان تعيش مثلي ، مثل راعي الماعز ، مثل اي واحد من الناس . وانت تعلم دون ان اقول لك اني لا اتوانى عن مد يد المساعدة اليك مهما كانت الظروف ، اذا كانت مساعدتي تنفع .

— مساعدتك تنفع ، ارجو ان تنفع . اعتقد ان الزواج هو الامر الوحيد الذي سوف ينقلني من مرحلة الى مرحلة . من عالم اكرهه الى عالم احبه . الا تعتقد هذا ؟

— الزواج ؟

— نعم ، الزواج . اني اتكلم عن سعدى يا سهيل ، عن شقيقتك سعدى . بيتكم هو الوحيد الذي استطيع ان افتح نفسي فيه وانطلق على سجيتي . هناك روح تسيطر عليه، اقل ما اقول فيها انها تعجبني. واعتقد اني خليق بسعدى ، وانها خليقة بي . ما قولك ؟

فلم يجب سهيل ، وبقي يحدق بالاستاذ ويكاد يسحقه بنظراته .

فشعر هذا بخجل وحيرة وتمنى لو انه لم يقدم على هذه المغامرة الجريئة . وبعد قليل استجمع قواه واراد ان يقول شيئا ، لكنه لم يقل ، لان نظرة سهيل لم تتغير ولم يخف ثقلها . فقام واخذ يتمشى . ثم استند بجسده النحيل الى الجدار وصمت مفكرا . فقال سهيل :

— الا تخشى ان ينهار الجدار بك ؟

— بلى .

— ماذا ستفعل اذا انهار ؟

فتنهد واجاب : — اسافر !

فتمتم سهيل بهدوء :

— خسارتي سوف تكون عظيمة ولا شك .

وهنا اهتز الجدار فعلا تحت الاستاذ حتحوت فابتعد عنه . ثم قال بصوت ضعيف عميق كأنه يخرج من بين الركام والحجارة المتناثرة :

— لا تقل اكثر من هذا ، لا تقل اكثر من هذا . انت كذاب ، وكنت اظن نفسي الكذاب الوحيد .

— كذاب ؟ على العكس . انا صادق ايضا ولست انت الصادق الوحيد .

— صادق ؟

— الم تشرح لي حالتك جيدا ؟ لماذا ؟ اليس لاصدقك ؟

فصرخ : — ولماذا دافعت عني ضد نفسي اذن ؟ لماذا قلت انك تعني كل كلمة تقولها بالنسبة الي ؟

— لكن ...

— لانك لم تحسب ان المسألة قد تمسك دون سواك ، والى هذا الحد. المسألة تختص بشقيقتك ، ولو كانت سواها لحبذت ان تعطيني لها ، انا التافه الضعيف الشخصية ، اليس كذلك ؟ اما شقيقتك فلماذا تعطيني لها وباستطاعتك ان ترفض ؟

— لكن ...

— اسمع ودعني انهي حديثي .انا لا الومك من اجل هذا يا سهيل ، بل على العكس . انت لك الحق ان ترفض طلبي ، وعلي ان ارضى ولا اعترض ابدا . الست اسعى لان اكون مثلك ؟ اذن ما معنى سعيي اذا كنت اريدك ان تتخلى عن شخصيتك وتصبح مثلي ؟ شخصيتك الحالية تحتم عليك ان ترفض طلبي، فرفضت، ولم تخطىء ، وكنت امينا مع نفسك . كذلك انا امين مع نفسي ، وكنت امينا معها . قلت لك سابقا ان الحياة سخيفة ، تافهة ، لا تستحق ان تعاش . وهكذا فالحياة سخيفة تافهة لا تستحق ان تعاش ، بالنسبة الي على الاقل . ما بقي لي ان افعله هو ان اسافر ، ان اهرب . فلأهرب يا صديقي ، ولاترك لك بيتي ايضا لعلك تكون بحاجة اليه . وعندما اجد مكانا استطيع الا انهزم فيه ، فسأستقر فيه ، وقد ادعوك الي اذا شئت .

وهكذا سافر الاستاذ منهزما .

جرجي نقولا

اعلنوا في مجلة

الاديب

حيث يبقى الاعلان عرضة للانظار شهرا كاملا



مأثورات شعبية من وادي الفرات ـ الخبز في دير الزور ـ التداوي المحلي في دير الزور ـ الانية والمواعين في دير الزور ـ عبارات السلوك .

٦٤ صفحة ـ ١٠٤ صفحات ـ ٥٢ صفحة ـ ٥٢ صفحة مع ملحق مصور ـ ٤٠ صفحة ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش ـ مطبعة الفرات ـ دير الزور ـ سورية .

تعلمنا منذ الصغر ان المدنيات الكبيرة قامت على ضفاف الانهار الكبيرة. ومن هذه الانهار الكبيرة نهر حفلت بذكره وذكر المدنيات التي قامت على ضفافه روايات الاساطير وكتب التاريخ ، ولعب دورا هاما في تطوير الجماعات البشرية الى ما قبل بضعة قرون . وهو نهر الفرات . الا ان القرون الاخيرة صرفت اهتمامها الى بقاع اخرى من العالم والقت على هذا النهر ظلا من الاهمال والنسيان . وقد بدأ دور الاهمال والنسيان هذا باجتياح التتر لبلاد ما بين النهرين في طريقهم الى الديار الشامية. فقبل غارات التتر هؤلاء كان العمران متصل العهود ومتصل الاطراف في الاراضي الرسوبية التي تمتد بين النهرين ، دجلة والفرات . وقد بلغ العمران احدى ذراه الشامخة فيالعهد العباسي من العهود الاسلامية. ففي احدى فترات هذا العهد قدر سكان الجزيرة بين النهرين بثلاثة الاف الف نسمة ، ثلاثة ملايين ساكن كانوا يعيشون في بحبوحة وفي منطقة ناهضة العمران ، ارضها خصبة ومياهها وفيرة وجناتها مزدهرة. وكانت مدينة الرقة حاضرة هذه المنطقة في تلك الفترة التي نصفها . واشتهرت الرقة انذاك بمعاهدها واسواقها وبما يحيط بها من قرى ودساكر ، ساد فيها الامنوانتظم الري فجادت مواسمها وازدحم سكانها.

ثم تهاوت كل معالم الازدهار هذه باجتياح جحافل التتر المخربة تلك البقاع الاهلة العامرة . ويؤرخ الرواة لسقوط الرقة ، حاضرة ما بين النهرين ، امام مجتاحيها بكلمة « عذاب » التي تساوي في حساب الجمل سنة ٧٧٣ هجرية الموافقة سنة ١٣٧١ ميلادية . ففي تلك السنة وقبلها وبعدها مر جراد جيوش التتر بسهول الفرات المخصبة فلم يبق ولم يذر . ومنذ ذلك الحين خربت المدن في وادي الفرات والبقاع المتصلة به وهجرت الدساكر وتوقفت مياه الانهر المحولة عن المرور في اقنية الري ، وتحولت جنة الجزيرة بين النهرين الى بادية مقفرة هجرها اهلها الحضر فاصبحت مسترادا للقبائل الرحالة .

وهكذا لفت اثر عام « عذاب » جاهلية جديدة هذه البقاع بعد فترة الحضارة والعمران . ان تاريخ هذه الجاهلية الجديدة غفل لم يستقص او يسجل بعد . وتلا تلك الجاهلية عهد جديد اخذ وادي الفرات يتفتح فيه على العمران ، واخذت البادية المحيطة به تتحول الى سهول منتجة آهلة بالسكان ومغلة للثروات . ويعيش وادي الفرات اليوم في فترة من فترات هذا العهد الذي يعود في مداه الابعد الى مائة وخمسين او مائتين من الاعوام . وهي فترة تعد بمستقبل حافل اذا تبينا قيمة هذا الوادي والسهول المتصلة به حول روافده ، من النواحي الاقتصادية والاسكانية . فهو في الحاضر يكون احدى الدعامات الرئيسة في اقتصاد القطر السوري بما يغله من اقطان وحبوب ، وفي هذا الوادي سيقوم سد الفرات الذي عليه وعلى النفط المخزون تحت ارضهذه المنطقة يقوم اقتصاد سورية في المستقبل . والى ان بلغ وادي الفرات هذا المبلغ من الاهمية مرت به في عهده العمراني الجديد تطورات كثيرة وكبيرة من حيث نشوء مدن جديدة فيه ونزوح اعداد كبيرة من السكان اليه ، وما رافق هذه التطورات من تبدلات في حياة السكان وعاداتهم وتقاليدهم . ومجموع هذه التطورات والتبدلات يكون تاريخا لم يهيء له من يستقصيه ويدونه ، فظل غفلا كما ظل غفلا قبله تاريخ فترة الجاهلية الجديدة التي اشرنا اليها فيما سبق .

كل هذه المقدمة اسوقها في معرض حديثي عن جهود متصلة لفرد واحد من ابناء وادي الفرات المعاصرين ربط نفسه بعمل هام ومضن ، هو تقصي جوانب الحياة الحاضرة والمنقرضة في هذا الوادي ،وتدوينها في دراسات متلاحقة تاريخية وادبية وانتوغرافية وفولكلورية . هذا الفرد هو الاستاذ عبد القادر عياش مؤلف الدراسات الخمس التي سميتها في مطلع هذا المقال .

والاستاذ عبد القادر عياش محام من دير الزور ، وهي حاضرة وادي الفرات في هذه الايام ، اصلا واقامة . واذا كان القانون هو ميدان العمل المعاشي للاستاذ عياش فان اتجاهه الفكري قد طغى على مهنته ، فصرف اكثر همه الى التاليف في تاريخ وادي الفرات الذي اليه نسبته ، باحثا في بطون الكتب وزوايا المجتمع ، متقصيا اخبار الماضين وعادات المعاصرين ، مسجلا كل ذلك في مقالات او كتب ، وناشرا لها في المجلات السائرة او في مجلة « صوت الفرات » التي ظل يصدرها طوال حقبة من الزمن في بلدته دير الزور ، او في كراسات مستقلة يطبعها على نفقته الخاصة . ولهذا قلت ان عمل الاستاذ عبد القادر عياش عمل مضن لانه عمل عصبة من الرجال يقوم به فرد واحد . فهو المتتبع المنقب في المراجع التاريخية والمؤلفات الادبية ، وهو الباحث الاجتماعي في قطاعات الحياة المعاصرة ، وهو بعد ذلك الناشر بجهده وعلى نفقته الشخصية لكل ما يؤلفه .

ان الدراسات الخمس المنشورة في كتب او كراسات تحمل العناوين المذكورة في مطلع هذا المقال (مأثورات شعبية من وادي الفرات ، الخبز في دير الزور ، التداوي المحلي في دير الزور ، الانية والمواعين في دير الزور ، عبارات السلوك) هي مثال لنتاج الاستاذ عبد القادر عياش في البحوث الفراتية ، في تعدد مواضيعها وميادينها من اجتماعية واقتصادية ومعاشية وطبية . وكل هذه البحوث تشترك في صفات الجدة والصراحة ، وفي كون مؤلفها لم يسبق الى عمله ، عدا عن انه بالتاليف في هذه البحوث قد سد ثغرة في تدوين تاريخ وادي الفرات المجهول عند كل الباحثين . وكما قلت ، فان العناوين الخمسة التي اتحدث عنها مثال للابحاث الكثيرة للاستاذ عبد القادر عياش ، مما نشره في اعداد مجلته « صوت الفرات » وفي غيرها من المجلات والمنشورات من تلك الابحاث مقالات عن مختلف بلدان وادي الفرات والجزيرة الفراتية كنصيبين والرقة ومنبج ، ومقالات عن دور الفراتيين السوريين في الادب العربي ، ومقالات عن رحالين عرب ورحاليين اوروبيين زاروا وادي الفرات ، ومقالات اخرى غير هذه وتلك في مواضيع مختلفة ومقاربة .

وللاستاذ عبد القادر عياش طريقة في دراسة ابحاثه وتدوينها تدل عليها هذه الكتيبات الخمسة احسن الدلالة . ففي كل موضوع من مواضيعها تجد سعة الاطلاع التي تنم عن الداب المستمر في الرجوع الى امهات الكتب ، كما تجد المعلومات الشخصية التي لم يسبق لها

تدوين مما يشير الى جهد المؤلف في تتبع المادة المدروسة لا في الكتب وحدها بل في المجتمعات الحية ومن افواه الناس المعاصرين وعلى الطبيعة . اما اسلوبه في تسجيل دراسته فانه اسلوب بسيط ، قليل التزويق ، ظاهر منه ان هم صاحبه هو اداء المعارف التي ظفر بها لا بلوغ غاية جمالية او فنية في ما يكتبه . ويلمس القارئ بوضوح استغراق المؤلف في بيئته الفراتية وتتبعه نواحي تاريخها القديم والحديث من اتصال ابحاثه بعضها ببعض ، ووعده بابحاث جديدة لاحقة ، كانه حريص على ان يتقصى بيئة وادي الفرات في كل ابعادها ، هذه البيئة التي رضي بها اقطاعا لجهده ونتاجه الفكري سعيدا بما يبذله فيها من كد ونصب .

وهذه الخصائص العامة لدراسات الاستاذ عياش وابحاثه تبرز بعض الشيء المآخذ التي قد ياخذها القارئ المتتبع على انتاج هذا الباحث الفراتي . فسعة الميدان الذي يبحث فيه وتشعب مناحيه ينايان به في مرات كثيرة عن التعمق في ما يدونه ، او يجعلان الايراد ناقصا يتمنى طالب المعرفة لو انه كان اقرب الى الكمال . من تلك المآخذ مثلا كثرة استشهاد المؤلف بالشعر العامي المروي باللهجة الفراتية دون تفسير لغريب هذا الشعر مما يجعل قراءته وفهمه عسيرين على من لم يكن ملما بتلك اللهجة . ومنها اقتصاره على معلومات سطحية ، شبه عامية ، في مواضع يستحسن فيها التزام الدقة العلمية ، كما في بحثه العاجل عن التداوي المحلي في دير الزور وايراده فيه اسماء الاعشاب مثلا دون ذكر اسمائها العلمية ونسبتها الصحيحة . ومنها كذلك بخله بذكر المراجع التي اعتمد عليها في نهاية كل بحث من بحوثه ، مع علمه بأن هذه البحوث مهيئة لتكون بدورها مرجعا يعتمد عليه في دراسات الدارسين.

وثمة مأخذ اخر قد يضيفه الناقد الى ما اشرت اليه آنفا من مآخذ. اعني بهذا فقر المظهر الطباعي الذي يبرز بها الاستاذ عبد القادر عياش دراساته للقراء . ولكني ارى ان هذا المأخذ الاخير جدير بان يكون موضع تقدير للاستاذ عياش لا موضع نقد . فهو نتيجة حتمية لهمة هذا الباحث الدؤوب وتصميمه على طرح نتاجه بين يدي المثقفين . اذ من الواضح ان دراسات كالتي يقوم بها بعيدة في جديتها واختصاصها عن ان تكون مما يروج ماديا او يهتم بها جمهور القراء ، كما ان المؤسسات التي تتولى بوسائلها الخاصة نشر مثل هذه الدراسات غير موجودة في دنيانا الفكرية . فكان لا بد من ان يقوم الاستاذ عياش بنفسه ، وعلى نفقته الخاصة ، وبوسائل الطباعة الفقيرة في بلدة مثل دير الزور ، بنشر هذه الدراسات بصورة مستمرة . وحسبه هذا شفيعا في ما يلقاه القارئ من اخطاء مطبعية او من فقر في الورق او بساطة في الاخراج . ويبقى بعد هذا كله للاستاذ عبد القادر عياش فضل الاخلاص لبيئته وتاريخها ، وفضل التضحية المتجردة لخدمة المعرفة ، وفضل التفرد بالعمل في ميدان علمي وثقافي بكر وغني ولكنه مجهول ومهمل .

عبد السلام العجيلي — **الرقة ـ سورية**

•

اكليل شوك حول قدميه

مجموعة قصص قصيرة ـ تأليف لور غريب ـ مصممة الغلاف والكتاب لور غريب ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

لور غريب اديبة شابة ، متحررة في عقليتها ، ذات ثقافة عصرية ناضجة ، وهي تعمل مع اخيها ، جورج غريب ، في المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر في بيروت ، وتحرر كذلك في جريدة «لوجور» الفرنسية اليومية ، وتنشر في صحف عربية وفرنسية اخرى . وقد سبق ان اصدرت مجموعة خواطر شعرية باللغة الفرنسية ، عنوانها : Noir .. Les Bleus ، فيها الكثير من الخطرات الانسانية اللطيفة رغم ما فيها من ضبابية قد تكون كثيفة احيانا ، ولكنها تظل شفافة في اكثر الاحيان .

ولور رسامة كما هي اديبة : انها تعبر عن نفسها بالقلم والحبر حينا ، وبالريشة واللون حينا اخر . وهي موفقة في الحالين ، ولكنني اعتبرها في الرسم صاحبة مدرسة جميلة ، فهي تخلع على الفن الفارسي القديم صياغة جديدة بلمساتها الرمزية الملأى بالجمال ، والاشراق ، والحيوية . وقد رأيت عندها عشرات من هذه الرسوم النيو ـ فارسية ، كما يطيب لي ان ادعوها .

وتميل لور غريب في حياتها وادبها الى مذاهب الشبان من الكتاب الفرنسيين واللبنانيين ، بكل ما فيها من حرية وانطلاق في التعبير عن الجمال في الفن ، وعن الحياة في معناها الحي الشخصي المباشر . انها تؤلف مع انسي الحاج ، وليلى بعلبكي ، وغيرهما مدرسة واحدة في حرية التعبير ، وفي التمرد على المألوف في الفن ، وفي التعبير ، وفي الحياة . وفي هذه المدرسة اندفاع الشباب ، وجرأته ، وتمرده على الثابت ، والمألوف ، واللامتطور ، ولا ريب في ان فيها تهوره كذلك في احيان كثيرة .

وكتاب لور هذا « اكليل شوك حول قدميه » هو مجموعة اقاصيص ، ويحتوي على اثنتي عشرة اقصوصة . وفي اسلوب هذه المجموعة شيء من الرمزية ، والعبارة الضبابية احيانا قليلة، ولكنها في مجموعها قوية جدا ، وواضحة المعاني في تصوير الانفعالات النفسية لدى المرأة في مختلف مواقف الحب ، والكراهية ، والرضى ، والغضب ، واللين ، والعنف . ان لور بارعة جدا في التعبير عن هذه المواقف النفسية المتنوعة لدى المرأة. وفي اقاصيص لور هذه لا نبحث عن حبكة قصصية مألوفة : عن سرد ، وحوار ، وتحليل ، وعقدة ، وهدف ... هذه اشياء مألوفة والمألوف لا شأن للور به . انها تريد ان تعطينا قصة حارة ... قصة حارة ، هذه هي العبارة التي تصور القصة عند لور غريب ... انها حارة كما تحسها وكما تريدها هي ، صاحبة التجربة والعبارة ، لا كما ارادها قواعديو الفن القصصي .

وفي اقاصيص لور كآبة عميقة ، ولكنها كآبة مقرونة بالتمرد العنيف على اشياء كثيرة . ومأساة لور هي في الخوف ... ان الخوف هو عقدتها النفسية التي تفسر كل سلوكها ، وكل عملها الفني : الخوف من الناس ، والخوف من الحب ، والخوف من الكراهية ، والخوف من الموت ، والخوف من الخوف نفسه ... حتى على سوارها الفضي الذي يطوق معصمها حفرت عبارة فرنسية معناها « لا حياة دون خوف ». وهي تصور الخوف في اماكن متعددة من كتابها هذا : في الصفحة ٢٦ ، والصفحة ١٦١ ، وفي غيرهما . ولعل اصدق صورة تنطبق على لور نفسها هي انها « مرساة باحثة عن مرفأ امين دون ان تبحر ابدا » . « مرساة تبحث عن مرفأ امين » ، تلك هي لور غريب في حقيقتها .

والناس عند لور : « وجوه من شمع » ... و « تماثيل من خشب »...و « أوراق نقدمزيفة »...كذلك تصورهم في اقاصيصها. ولكن سائر اقاصيصها وافكارها وخواطرها اجساد تضج بالحب ، واللذة ، والشوق ، واللهفة ، كما تضج مقابل ذلك ايضا بالكراهية، والحقد ، والعنف اذا لم تجد ما يشبع جوعها الحقيقي .

وهي بارعة جدا في التصوير ، بعبارتها القصيرة الفنية بشحنات الحس الحاد ، وبالزخم الروحي . انظر تصويرها « للغرباء » في الصفحة ١٠ من الكتاب ، واقرأ اقصوصتها التي عنوانها « في جسدي بقية من ربيع » ـ وهي الثانية عشرة في ترتيبها في الكتاب ـ لترى صورة الصراع النفسي التي لا يمكن ان يكون هناك تعبير اقوى من تعبيرها الذي يشمل الاقصوصة كلها ، من اولها الى اخرها . انها

قصة المرأة بكل ما فيها من قوة العاطفة ، وصراحتها .
وكتاب لور باسره هو في خلاصته : رجل وامرأة . ولكن اليست الحياة كلها في خلاصتها رجلا وامرأة ... بكل ما بين الرجل والمرأة من انواع الملهاة والمأساة ، ومن صور الحب والبغض ، والشهوة والجوع الى الجنس ؟

ولور تعمد كثيرا الى استعمال كلمة « الصليب » ، او « صليبي » دليلا على ما تعانيه في داخلها منقسوةالصراع النفسي الذي تحاول ان تتغلب عليه بتمرد الروح ، وتمرد القلم ، وتمرد الريشة ، وتمرد الشخصية . وقصتها السابعة « ويبقى الصليب » برهان قوي الدلاله على ذلك ، فهي قصة الضياع ، وصليب العذاب .

ان بعض اقاصيص هذه المجموعة نماذج حية لمقدرة الفنانة البارعة المبدعة في فنها ، وفي تعبيرها عن الناس وعن الحياة : قصة «عيناها شيخوختي» ، مثلا ، تصور شعور الغربة العنيف ، وفي الوقت نفسه شعور الضيق بالجليسة العجوز التي تحاول تسليتها في غربتها ووحدتها ، ولكنها بدلا من ذلك تكون ثقيلة مملة ، مما يدفع بالغريبه الى الهرب منها ، او الهرب من معنى الشيخوخة الثقيلة التي توحي بها العجوز . وقصة « الغصن الصغير » بارعة جدا في تصوير شوق الاطفال الى شجرة عيد الميلاد ، وحرصهم على ان تكون لهم شجرة في البيت لهذه المناسبة . ثم تتحول الصورة الى ماساة لتزيد في عمق الاثر الانساني للطفولة المحرومة ، المعذبة بالحرمان ، حين تسقط الطفلة عن الشجرة التي شاءت ان تقطع منها غصنا لتجعله شجرة العيد في بيتها . وقصة « لا اريدك صدى » من ابرع ما يمكن ان يصور به قلم ماساة الام التي انجبت تسعة بطون ماتت كلها ، ولم يبق منها غير طفلة لصغرى تلك البطون التسعة . فهي تعيش لهذه الطفلة والذكريات بناتها التسع الراحلات ، ثم تنتهي من شدة الحزن ومن استمرار الالم الى الجنون ... وقصة « وجوه من شمع » رائعة التعبير عن المراة العاقر : يحبها الرجل ، ويتزوجها ، ويمضي حبه لها قريبا من العبادة فترة من الزمن ، ثم يتراخى حين يرى انها عاقر ، وينتهي اخيرا بطردها من البيت نهائيا لكي يتخلص من عقمها ، غير ملتفت الى كل ما ابدته له من صنوف الخدمة ، والحب ، والطاعة ، والصبر ، والتضحية . وقصة « ظلي غبار المسافات » تصور شعور الغربة ، او شعور الفتاة الغريبة في باريس ، حتى تلتقي بفتى مغربي هناك ، وعندئذ يتحرك في قلبها حب الوطن عنيفا حارا ، ويشدها الحنين الى لبنان بقوة عظيمة رغم حبها للاسفار .

قد يكون بعض مواضيع هذه الاقاصيص مطروقا — الاديب لا يخترع المواضيع التي يكتب فيها اختراعا ، بل ياخذها من الحياة التي يحياها كل الناس — غير ان طريقة المعالجة ، واسلوب التعبير ، وجمالية الفن ، جديدة كلها في هذا الكتاب ، وكلها ملك للور غريب ، ولقلم لور غريب وحدها . وهنا معنى الاصالة العميق الجميل . ان ما في كتاب لور من اصالة ، وصدق في التجربة وفي التعبير ، كل ذلك يستحق الاعجاب والتقدير .

عمان — عيسى الناعوري

●

فوق الحدود والسدود

يوميات واراء وخواطر — تاليف وجيه جبر — ٢٢٠ صفحة — حجم كبير — مطابع الف باء ، الاديب في دمشق

هذا الكتاب يدخل مكتبتنا العربية بطابعه المميز . فهو ليس دراسات في الاجتماع ، او مناقشات في القومية ، او نجاوى عاطفية ، او

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩
Tel : Dir : 223819 — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت — لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

تجاوب مع بعض الفلاسفة والمفكرين ، او نقد للتاخر ، او محاولات لتقديم نظريات دستورية .. انما هو جميع هذه المواضيع في نسيج ادبي محكم ، يحدد موقف اديب ومفكر حر ،آمن بوحدة أمته وتحررها.

وهو كتاب فوق الحدود والسدود لانه عمل فكري قبل كل شيء.. وثمرة انفتاح على المعرفة النظرية ، والتجربة العملية ، والموهبة الادبية ، وقد خطه يراع قال الحقيقة كما رآها وفهمها .. وباسلوب رصين ومحبب ، اجمل ما فيه انه صادر عن العقل والقلب معا .

الى جانب القضايا الكبرى التي يتناولها هذا الكتاب ، نجد ان مؤلفه لم يهمل الناحية الفنية .. فانك تحس في سطوره عبقا من الشعر ، وكثيرا من الحب .. الحب للارض والطبيعة ، للشمس والنجوم ، للانسانية ، للوطن ، لكل ما هو جميل في هذا الكون .. والحب للادب والفكر والحب للحب ايضا .. اذ يجمعك بكريشنا مورتي وطاغور والغزالي والمعري ونعيمة وطهحسين وغيرهم وغيرهم من المفكرين والشعراء ليحاورهم ويناقشهم ، فتحس معه بنشوة .

ان عنوان الكتاب ذاته يعطيك فكرة عن طريقة تناول هذا الكتاب لمواضيعه الاجتماعية والقومية والانسانية ، فهو ثورة على الحدود ، ثورة على السدود ، على الحواجز التي تقف في طريق تقدمنا في الاسرة الواحدة ، وفي الحي الواحد ، في القرية الواحدة ، في البلد الواحد ، في الامة الواحدة ، وفي العالم الانساني الواحد .

يعتمد المؤلف الروح التعاونية الخيرة الموجودة في نفس كل انسان شريف اساسا لكي تنهض عليه المجتمعات العربية ، ليستعيد العرب مكانتهم في موكب الحضارة . فالعروبة كما يقول المؤلف صرح حضاري ذهبت جذوره الى اعماق الازل ، وان هذا الصرح يشكل دعامة أساسية في الكيان الانساني ، ويؤمن بأن العروبة اذا ما تيقظت الحياة الصافية فيها من جديد فستحرر الانسانية من علة الشلل الذي اصاب عضوا رئيسيا من اعضائها . ان لم نقل اصاب عقدة الحياة في جسم هذه الانسانية . والرائع في ان الاستاذ جبر يقوم بمحاولة جريئة لتقديم نظرية دستورية جديدة تتيح للمرأة ـ باعتبارها نصف المجتمع وكأم وكمصدر للوحي والالهام ـ ان تتمتع بكامل حقوقها كمواطن عربي متساو مع الرجل ، فيعطيها حقها من القيادة ، ويدعو الى تسليمها نصف هذه القيادة ، لانه يعتقد بأن الديموقراطية الصحيحة لن تؤت أكلها ونتائجها المتحررة الا اذا ما شاركت المرأة الرجل في اشغال نصف المقاعد في جميع المجالس السياسية والادارية والبلدية . وفي ذلك عنده تحل ازمة الديموقراطية في جميع انحاء العالم ، وعلى الاخص في البلدان النامية .

ان هذا الكتاب كما جاء في اهدائه موجه الى كل عربي يثور على ذاته ليرتفع فوقها ، ليتخطى الحدود والسدود ، ليحقق المجتمع العربي الافضل ، والدولة العربية المثلى . والى مطلق انسان لا يسترضي بالسيطرة والجريمة والتخلف واقعا او مصيرا ابديا لاخيه الانسان . والى مطلق امراة تحتفز لتملك كامل ارادتها ، ولتحمل كامل رسالتها. والى مطلق قاريء يتعشق الفكر الحر والاصالة الادبية .

دمشق

حسين راجي جرکس

ماجستير في الادب الروسي

•

مـع النفس

ديوان شعر ـ خاشع الراوي ـ ١٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد

ان الشاعر مخلوق يتعذب ، وعذابه هذا يطول ويقصر حسب ما يقتضي، فهو يغني في افكاره .. ينسى كل شيء يدور حوله .. يشارك عمله باحاسيسه ووجدانه بعيدا عن الناس يصلي في محرابه..يقدم القرابين من عصارة أفكاره وحرارة انفاسه .

وعندما يتالم هذا المخلوق فان افكاره تبقى ملتهبة متقدة ، وهي تفتش عن متنفس لها لتستريح بواسطته من هذا العبء الذي يبدو مسيطرا عليها .. عندئذ يبدأ دور الاجهاض والمعاناة .. الدور الذي ينتزعه الالم من هذه الاحاسيس وتلك الافكار .

فالالم هو مصدر الخلق والابداع .

ومن الشعراء الذين عرفوا مرارة الالم ، وعاشوا واقعهم الحزين شاعرنا الاستاذ خاشع الراوي في ديوانه الموسوم « مع النفس » .

يضم الديوان قصائد ينبع خلالها الحزن وابرز ما فيها قصيدته او فقل رائعته الشجية الباكية التي يرثي بها ولده المرحوم الملازم الطيار سعد :

آشكو الى الله ما عانيت من نكد ... ومن مصائب دهر أوهنت جلدي
ما هذه حجر بالنار تحرقها ... فلا تحس ، ولكن هذه كبدي
ولا الذي ضمت الغبراء اعظمه ... بالاجنبي دما ، لكنه ولدي
أما التراب ، وقد رويته بدمي ... فذاك أثمن ما أودعت في بلدي

صحيح ان الرثاء فن ، وتصوير للخطب الفادح ، والمصاب الاليم ، واظهار لمعاني الحزن والاسى .. وصحيح انه استسلام لفلسفة الحياة ، ولكن رثاء الاب المفجوع ينبعث عن حرارة وصدق تجاه المكروه الذي حل به ، وهو يختلف عن غيره من حيث الوجد،والعاطفة ، واللوعة والاسى:

بني يا سعد ، يا من كنت أشحذه ... على الملمات ، يا ذخري ويا سندي
هل أنت عني راض ؟! انني أبدا ... ما دار الارضائي عنك ، في خلدي
صرعت فاحترقت روحي عليك أسى ... والدهر مارتارحتى فت فيعضدي
نحرت للحزن قلبي عن ضيافته ... والعين ضحيتها للسهد والرمد
جاء المعزي يسليني فقلت له ... متى الرحيل؟! فقال أرقب صباح غد
يا من أراد حياة يستراح لها ... ارحل الى غير هذي الدار وابتعد

وتمر الايام على الشاعر .. ولم يندمل جرحه بعد ، فاذا به يفقد زوجته اثر النكبات المتلاحقة التي افقدتها أعز ما تملك في دنياها ، واذا بالشاعر الثاكل يرثي زوجته الراحلة في قصيدة له بعنوان « أم البنين » وهي طويلة منها :

أم البنين ، وما في الموت من عار ... ان المنية فينا حكمها جار
الم تري قبلك الاحباب قد رحلوا ... يحدوهم الموت من دار الى دار
قد نغصتنا الليالي وهي غادرة ... وروعتنا باهوال وأخطار
شر البلية ان القاك هامدة ... وان تغيبي ، فلم تلمحك انظار

ثم نلتفت اليه فاذا به يرثي أخاه الشيخ محمد وابن أخيه السيد حامد حيث كانت وفاتهما في يوم واحد .. يرثيهما أوجع رثاء متذكرا ولده الشهيد :

لك هذا ، وما عليك سلام ... فتخير من ولدنا يا حمام
سوف ترضى ، فالابن والاخ وابن ... الاخ ، كل مبارز مقدام

الى ان يقول :

أين ولى الكرى ؟ لقد طال سهدي ... أم لعل الكرى علي حرام ؟
ما عرفت الهنا طوال حياتي ... كل هذي الدنيا بعيني ظلام
فاستمع للنواح مني وقدر ... أنواحي أشجى أم الانغام ؟

وفي الديوان ثلاث قصائد في الرثاء ايضا .. القصيدة الاولى بعنوان : « في مأتم العلامة المغفور له الشيخ فؤاد الالوسي » عميد الاسرة الالوسية الشهيرة ، وكان من علماء العراق الاعلام . منها :

أرى الصبر أجدى في الخطوب وأجزما ... فما كان شان الحر ان يتبرما
دع المشتكى ، واصبر على صدمة القضا ... فقد كان امر الله في الناس مبرما
طوى الموت من اعلام آل محمد ... على غفلة منه ، الكمي المقدما

فاطفأ مصباحا ينير لنا الدجى فيجلو المحيا منه ما كان مظلما

والثانية « في ذكرى الفقيد الشيخ خالد النقشبندي » من السادة النقشبندية في العراق ومن رجال الدولة البارزين . منها :

مصابك يا ابن النقشبندي مؤلم وجيع ، واما وقعه فهو أوجع
أيا راحلا ما حاد عن منهج الهدى وقد كان مثل الطود لا يتزعزع
تركت فراغا يوم بارحت موحشا فخطبك للصيد الميامين مفجع
وموتك للاوطان أي خسارة لها انفس الاحرار تعيا وتجزع
لقد كنت في اهل الكياسة لامعا فوجهك وضاح ونجمك يسطع
وكنت محبا للفضيلة خيرا تشير الى ما كان يجدي وينفع

والقصيدة الثالثة « في ذكرى المرحوم ابراهيم الواعظ » من كبار القضاة والحكم وصديق الشاعر . منها :

أفراق الى أمد ؟ أم رحيل الى الابد
أفل الكوكب الذي شع بالامس واتقد
وخبا ذلك السنا والمنى أصبحت بدد
يا أبا مصطفى الذي ما تجنى على أحد
والذي كان دأبه ان يفي كلما وعد

كل هذه الاحداث اثرت في نفس الشاعر ، وانطبعت في أعماقه حتى انعكست على اثاره في الديوان .. فهو يشكو مصائب الدهر ، ويعاني الهموم والحرمان بعدما أصيب بفلذة كبده وفقد زوجته .. وكان عليه ان يصمد امام هذه الخطوب ما دام له قلب يخفق بالحب والحنان ونفس مطمئنة مؤمنة . لنستمع اليه في قصيدة له بعنوان « لست أدري » حيث يقول فيها :

لست أدري وكل قلبي جروح أأغني من الاسى ؟ أم انوح ؟
أنهكتني مصائب الدهر حتى صرت ارجو من الردى ما يريح
كم اعاني الحرمان ، وهو مرير وأقاسي الأذى ، وجفني قريح
ان حظي من الهناء ضئيل ومجال الهموم نحوي فسيح
أين ساقي الردى ؟ الي بكأس لي اليها تطلع ، وطموح
هاتها علها تداوي فؤادي واسقنيها « لعلني استريح »

وفي غمرة هذه الاحزان نجد الشاعر لا ينسى قضايا وطنه المبتلي بالتخلف والاهمال نتيجة الاوضاع الشاذة انذاك .. فقد كانت قصائده تصويرا بارعا لتلك الفترة المظلمة المبادة خلال الخمسينيات الماضية .. لنستمع اليه وهو يخاطب اعضاء المجلس النيابي :

يا معشر الباطل لا تابهوا بالحر ان ينفى وان يحبسا
ما همكم ان تطعموا جائعا بل همكم ان تقرعوا الاكؤسا

ويقول ايضا في مكان اخر :

يا من تحكم واستبد بحكمه ما نفع حكم لم يكن محبوبا
الناس هبك قد امتلكت رقابهم فهل امتلكت مع الرقاب قلوبا

ويثور على اغلال العبود والاستعباد التي اوجدها الطواغيت :

حطموا الاغلال عنكم أيها الناس وثوروا
واجعلوا دائرة السوء على الباغي تدور
فالى كم ذي الطواغيت على الدنيا تجور
عجت الناس وضجت من تجنيها القبور
ويحكم هل مات فيكم أيها الناس الشعور

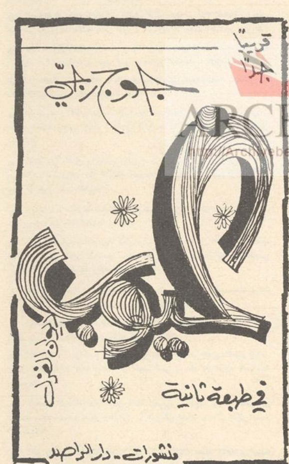
واذا ما استبد الحكام فقد يلجأ الشاعر الى الرمز للتعبير عن خلجات النفس الثائرة نتيجة تقييد حرية الراي والتعبير وكلنا نتذكر القصيدة « الطرطرية » التي نظمها الشاعر الجواهري وقد شاعت في حينها في الاندية والمجالس ودارت على كل لسان .. من هذا النوع من الرمز جاءت قصيدتان للشاعر في الديوان هما « الحمار حنتم » و « عقوق » . اما القصيدة التي كانت على منوال « الطرطرية » فهي قصيدته التي بعنوان « بيضة الديك » :

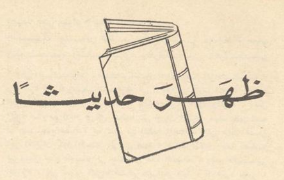
الديك باض فهللي وتحندلي وتمندلي
وتحمدي وتشكري وتطربي وتغزلي

وفي الديوان خواطر ومداعبات امثال « الوليمة الواسنانية » و « جرة اذن » وتشطيرات متفرقة في الاخلاق وتجارب الحياة . اما الغزل فنصيبه اقل من غيره وهو لا يبلغ مستوى الحزن والرثاء ، ولعل اكثره ضاع مع الايام أو ظل حبيسا بين اوراق الشاعر حيث يظهر انه لم يهتم بجمع قصائده كما نفهم من الكلمة الختامية التي جاءت في اخر الديوان يقول الاستاذ الراوي فيها : « لقد بذلت جهدا مضنيا في سبيل جمع ما تيسر لي جمعه من هذه القصائد ، وقد اعانتني الذاكرة ، على تدوين اكثرها اذا لم يكن لدي منها ، الا شيء يسير ، وجدته مبعثرا بين اوراقي .. »

وختاما ارجو للاستاذ خاشع الراوي حياة مديدة هانئة ليتحف مكتبتنا العربية بثمرات نتاجه .

الكوت ـ العراق كاظم محمد حسين





● الخليج العربي ـ تاليف قدري قلعجي ـ ٦٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ دار الغد (؟)

● حماة الاسلام ـ تاليف مصطفى نجيب ـ ٢٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت ـ دار الغد (؟)

● العروبة في شعر المهجر ـ تاليف فريد جحا ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة راس بيروت ببيروت ـ مطابع الفندور ببيروت.

● فوق الحدود والسدود ـ يوميات واراء وخواطر ـ تاليف وجيـه جبـر ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء ، الاديب بدمشق .

● ثمن الخطيئة ـ رواية ـ تاليفنجيبالبعيني ـ٢٢٤صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي (؟) ـ مطبعة الجهاد (؟)

● ديوان عبد القادر رشيد الناصري ـ جمعه وطبعه كامل خميس ـ مصمم الغلاف يحيى جواد ـ الجزء الاول ـ ٢٦٤ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغـداد .

● مقالة في العقل والنفس والروح ـ تاليف [illegible] اليازجي ـ ١٢٢ صفحة ـ منشورات دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الانسان ـ مجموعة شعرية ـ ابراهيم خليل العلاف ـ ٩٦ صفحة ـ مطابع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

● وهج الشباب ـ مجموعة شعرية ـ ابراهيم خليل العلاف ـ تقديم الدكتور جمال الدين الرمادي ـ الطبعة الثانية ـ ٩٦ صفحة ـ مطابـع مؤسسة مكـة للطباعة والاعـلام .

● المذابح الارمنية ـ تاليف فائز الغصين ـ ٤٨ صفحة ـ منشورات مركز المعلومـات الارمني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● القضبان ـ رواية ـ تاليفمحمد جلال ـ لوحة الغلاف بريشة عدلي فهيم ـ ٢٢٤ صفحة ـ دار الهنا للطباعة بالقاهرة .

● الديوان : شعر ونثر ـ الشيخ يوسف زخريا ـ تقديم الشيخ الياس خليل زخريـا ـ ٣٧٤ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الريحاني للطباعـة ببيـروت .

● القضية الارمنية امام الراي العام العربي ـ تاليف كرسام اهارونيان ـ ٨٠ صفحة ـ مع صور وخرائط ـ طبع في لبنان ـ (لم يذكر اسـم المطبعة) .

● لاخر رمق ـ مجموعة قصص قصيرة ـ تاليف محمد الخضري عبـد الحميـد ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ مطبعـة الاستقامة بالقاهرة .

● الكيان العربي بين المقومات والامكانيات ـ تاليف الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى ـ ٤٨٥ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعـة) .

● في الدكتاتورية ـ تاليف موريس دوفرجيه ترجمة الدكتور هشـام متولي ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبدالله عبد الدائم ـ ١٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة المكتبة الفلسفية ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة منشورات عويدات ببيروت .

● فن الدراما ـ تاليف ميشال ليور ـ ترجمة احمد بهجت فنصة ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعـة منشورات عويدات ببيروت .

● مصير ـ تاليف خليل رامز سركيـس ـ تقديم ميشال اسمر ـ ٣٠٢ صفحة ـ منشورات الندوة اللبنانية ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكيـة فـي بيـروت .

● عودة الغائب ـ تاليف الياس حبيب فرحات ـ تقديم جورج رجي ـ ١٨٨ صفحة ـ منشورات دار الراصد ـ مطابع فغالي ببيروت .

● ستة عشر عاما واكثر ـ مجموعة قصص ـ تاليف نزار مؤيد العظم ـ الغلاف والرسوم لهشام شيشكلي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الفن الحديث العالمي ـ مطبعة الايام بدمشق ـ مطابع سميا ببيروت .

● الامير ـ مسرحية في فصل واحد ـ تاليف جرجي نقـولا ـ ٨٤ صفحة ـ مطابع سميا ببيروت .

● التفجر المدرسي تاليف لويس كروس ـ ترجمة الياس فرح واحمـد القادري ـ ١١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ عدد خـاص مـن مجلة المعلـم العربـي بدمشـق .

● Ibn Qutayba : L'Homme, son Oeuvre, ses Idées — par Gérard Lecomte — 532 pages — gd. f Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Le Traité des Divergences du Hadit d'Ibn Qutayba — Traduction annotée du Kitab Tawil Muhtalif Al Hadit — par Gérard Lecomte — 464 pages — gd.f. — Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Anthologie de la littérature arabe contemporaine — Les Essais — par Anouar Abdel Malek — 464 pages — Editions Du Seuil, Paris — Imprimerie Mame à Tours, France.

● Boy Life on the Prairie — by Hamlin Garland — 244 pages — published by Washington Square Press — printed in U.S.A.

● Why the Mohole — by William J. Cromie — 230 pages — published by Washington Square Press — printed in U.S.A.

● The Anatomy of Liberty — by William O Douglas — 198 pages — published by Washington Square Press — printed in U.S.A.

● The Story of the Peace Corps — by George Sullivan — 160 pages — published by Washington Square Press — printed in U.S.A.

والكاريلي ، وياقوتيا البورياتي ، وفي منطقة ارخنجلسك ، يصاب الناس غالبا بداء سرطان البلعوم . ويتساءل ، عم هو مشترك من وجهة نظر الظروف المناخية والجغرافية ، وتقاليد وعادات سكان هذه او تلك من المناطق البعيدة الفور ؟؟ على ان لديها جامعا مشتركا : فالسكان يستهلكون السمك (نظرا لان معظمهم يتعاطى الصيد) ، ولكنهم لا ينقون تنقية كافية الحسك . ولذا ، فالجروح الخفيفة التي يحدثها الحسك في البلعوم ، تكفي لظهور سرطان البلعوم بين سكان هذه المناطق البحرية الساحلية .

واخيرا ، لقد برهن اعضاء البعثات مختلف درجات داء الغدة الثديية عند نساء مختلف مناطق البلاد . وينتشر بنوع خاص هذا المرض في القرى ولا سيما في المدن ولكنه اقل انتشارا في تركمانيا، وطاجكستان ، واوزبكستان، وتعرف الاسباب حاليا . فالامر لا يتعلق اطلاقا بالظروف المناخية والجغرافية ، بل بوراثة تتناقلها اجيال متعاقبة . فنساء هذه البلدان تضع بكثرة الاطفال ، ويرضعن فترة طويلة الاطفال ، ولا يجهضن الا نادرا . وكل ذلك ، يقيهن الى حد من سرطان الثدي المصادف غالبا عند النساء اللواتي لا ينجبن او اللواتي ينجبن قليلا من الاطفال .

هذه هي خصائص انتشار الاورام الخبيثة والامراض السابقة للسرطان الموجودة بين سكان بلادنا . وهذه المعطيات ، تتفق واستنتاجات علماء البلدان الاخرى . ففي الولايات المتحدة مثلا ، وكذلك في البلدان الاوروبية ، يصادف سرطان الجلد غالبا بين سكان الجنوب . وفي مناطق السويد الشمالية ، حيث يمنع منعا باتا التدخين في المصانع ويمضغ العمال التبغ. الامر الذي يهيج مخاط تجويف الفم ويسبب سرطان هذه الاعضاء والامراض السابقة له .

وفي مناطق كثيرة في الهند ، حيث يمضغ الجوز واوراق نبات التنبول ، المفروم والمخلوط بالتبغ والكلس المطفأ ، يمرض السكان بسرطان الفم. وتؤكد الخبرة الاجنبية واقعا ان النساء اقل عرضة لسرطان الثدي في المناطق التي لا تطرح النساء فيها كثيرا ، وفي المناطق التي ترضعن فيها الاطفال طويلا . ويوجد في النهاية ، نسبة مئوية كبيرة من السرطانيين بين المدخنين .

ان دراسة السرطان من وجهة النظر الجغرافية قد بدأت منذ وقت طويل ، وهي بعيدة عن ان تنتهي . على ان المعطيات التي جمعت حتى الان ، تسمح بدراسة التدابير الوقائية الواجب اتخاذها ضد الاورام الخبيثة والامراض السابقة لها ، وتدعو لمقاومة العادات والتقاليد المضرة وللقيام بدعاية واسعة لمكافحة السرطان .

آ. ميركوف

في كلمات ...

● شرح الدكتور بريان بارات بويرز اخصائي جراحة القلب في مستشفى جرين ليك في اوكلاند بنيوزيلاندا ، في مؤتمر طبي عقد في تورنتو طريقة نقل الصمام الاورطي من قلب شخص ميت الى قلب شخص مريض . وقال بارات بويرز ان هذه الجراحة اجريت حتى الان لـ ١٨٣ شخصا لم تحدث لهم اية مضاعفات .

● الدكتور تورب بمعمل ابحاث تصلب الشرايين بالدر ليبارك بمانشستر ، ابتكر جهازا جديدا اسمه العلمي «مايكرونيفلورميتر» مهمته تقدير كمية دهنيات الدم البروتينية (الليبوبروتين) كبيرة الحجم المسماة بجزئيات « بيتا » والتي تؤدي زيادتها الى تصلب الشرايين وانسداد الشريان التاجي (الذي يسبب جلطة القلب) . ولتقدير الكمية تأخذ عينة من الدم لا تزيد عن ١،٥ سنتيمتر داخل انبوبة توضع اعلى الجهاز ، وبالضغط على الزرار يتحرك المؤشر لتقدير كمية الدهنيات الموجودة في الدم في دقيقة واحدة . وطريقة عمل الجهاز تعتمد على خاصية اعادة انعكاس الضوء بواسطة هذه الجزئيات الكبيرة المعلقة في الدم ، فاذا ما سلط عليها شعاع صادر من لمبة تنجستين (٢٤ فولت) وامرار الضوء على مرشح احمر اللون لمنع انعكاس الضوء من كرات الدم الحمراء ، تحرك المؤشر فورا ليسجل كمية دهنيات الدم . وسيستعمل اول جهاز من هذا النوع في مستشفى قم الخليج بالقاهرة بعد اهدائه للدكتور حسني عياد مدير المستشفى تقديرا لابحاثه عن تصلب الشرايين في هذا المعمل ، وسيصل الجهاز في اول يناير .

● وجد العلماء الامريكان بان جميع البدينين لا يصابون بأمراض تترتب عن السمنة ، وقالوا بان هناك نوعين من البدينين ، نوع يتكون من الاصحاء الاجسام ، وتعود بدانتهم الى خشونة تركيب جسمهم بطبيعة الحال كضخامة العظام والتفاف العضلات . فهذا النوع من البدينين لا يصاب بالامراض التي تنشأ من السمنة كالسكر وارتفاع ضغط الدم ، ولا يفرق تمرضهم عن تمرض باقي الاصحاء الاخرين . اما البدينون الذين يترهل جسمهم فهم يكونون النوع الخطر ويوجد لديهم استعداد للاصابة بالامراض المذكورة .

● اخرجت مصانع بيرينج للادوية بمدينة ماربورج بالمانيا الغربية مصلا جديدا فعالا للوقاية من مرض الانفلونزا ، يستخرج من بيض الدجاج ولا يحتوي على اية فضلات قد تنتج عنها عوارض ثانوية غير متوقعة وتبقى مدة مفعول الدواء الجديد عاما كاملا . وقد اخرجت المصانع نفسها مسدسا خاصا «يطلق» منه المصل على جلد الشخص بقوة ٨٥٠ ضغطا جويا . فيستغنى بذلك عن عملية الحقن . ويمكن حقن المصل بهذه الصورة بسرعة تبلغ عشرة اضعاف الحقن العادي . ويصلح هذا المصل بصورة خاصة عند ظهور خطر انتشار وباء الانفلونزا فيحقن به سكان المنطقة باقصى سرعة . وقد اهتمت به كثير من البلدان الاجنبية وخاصة بعد ان انتشر وباء الانفلونزا خلال الاعوام الاخيرة .

● في نبأ من ساوث هامتين بانكلترا ان العالم البريطاني كارناجان كبير علماء الابحاث في مختبر الابحاث البيطرية في ويبريدج بالقرب من لندن ، قد صرح بان الارز المتعفن وغيره من الاطعمة المتعفنة قد تسبب الاصابة بسرطان الكبد . وقال كارناجان انه قدم الى عدد من الفيران والارانب ارزا افسده نوع خاص من العفن لفترة طويلة فادى هذا الى اصابتها باورام خبيثة في الكبد . واضاف كارناجان ، انه بالرغم من انه ليس بالضرورة ان تكون لهذه السموم المتسببة عن العفا نفس الاثار على الانسان ، فمن المقبول بصفة عامة ان الارانب تشبه الانسان ، ولذلك فمن المحتمل ان تكون السموم الخطرة عليها خطرة على الآدميين ايضا .

● توصلت دراسات الباحثين العرب الى نتائج هامة في مجال تحديد نوع الجنين قبل ولادته ! وقد استطاع الدكتور عباس الشربيني مدرس امراض النساء في طب قصر العيني بالقاهرة مع الدكتورة آنا هوندت رئيسة وحدة الخلايا في مركز البحوث ـ وهي هولندية اكتسبت الجنسية المصرية ـ الوصول الى طريقة علمية جديدة يمكن بها تحديد نوع الجنين وهو في بطن امه عن طريق دراسة الخلايا المعلقة في السائل الامينوسي (وهو السائل الذي يوجد في كيس الجنين وله خواص تدل على نوع الجنين) . ثبت من الدراسات التي اجريت على هذا السائل ان الخلايا الانثوية بها نقط تظهر بعد وضع صبغات خاصة عليها. وهي النقط « كروماتين الجنس » المعروفة التي تحدد العنصر الوراثي الاساسي في الجنين . وقد سافرت الدكتورة آنا هوندت الى المانيا لمواصلة البحث في النقط العلمية الهامة المتصلة بالموضوع .

● اكتشفت في مدينة لينين آباد في جمهورية تاجيكستان السوفياتية احدى الزواحف الطائرة المتحجرة التي يقدر انها كانت تعيش منذ ١٩٠ مليون سنة مضت . ويولي العلماء اهمية خاصة لهذا الحيوان المنقرض لانه كان يستخدم اغشية سميكة على ظهره كاجنحة للطيران ، بينما كانت الزواحف الطائرة الاخرى تستخدم سيقانها الاربع في الطيران .



في يوبيل مجلة الاديب
ضوء على الادب العربي المعاصر من خلال ربع قرن

عندما تحقق مجلة عربية بالمثابرة والصبر والكفاح استمرار البقاء ربع قرن يتحتم ان يتحرى الباحثون عن هذه القوة القادرة التي مكنت مثل هذه المجلة على استمرار التفاعل مع الفكر العربي المعاصر في العالم العربي كله . والحق ان مجلة «الاديب» البيروتية مجلة جديرة بالحياة تحمل في تضاعيفها كل عوامل النجاح والبقاء الى عمر الهلال والعرفان والمقتطف ، وهي أطول المجلات عمرا في الشرق العربي ، وابرز عوامل قدرتها على البقاء ، ذلك الايمان الواضح ، والاصرار الدائم من صاحبها ومنشئها على الاستمرار والتجويد .

فلقد بزغ فجر الاديب في ظل الحرب العالمية الثانية في اول عام ١٩٤٢ ظهرت قوية ضخمة في ٦٤ صفحة كبرى ومنذ ذلك اليوم لم تنقص ان لم تزد هذا الحجم ، وظلت خلال هذه السنوات محتفظة بذلك الطابع البسيط النفاذ المتمثل في حجمها وغلافها وواجهتها ، وذلك الاطار الحلو يحمل كل شهر حكمة من الشرق او الغرب ، حتى اعتادت عليها عين قارئها ومحبها ، فهي عنده أشبه بخفقة قلب ، تبدو من بين المجلات المختلفة لا يشبهها شيء ، ومنذ اليوم الاول كانت كلمات « البير اديب » تدل على ارادة مصممة على العمل . « لقد رأينا الحاجة ماسة الى سد ما يحسب بحق فراغا في مكتبة الاديب العربي ، فالهمنا ان نساهم بمجلة نطمع ان تكون معرضا للانتاج الفني والادبي والعلمي ، ثم لا تلبث ان تصير همزة الوصل بين أقطاب الفكر الحر في الاقطار العربية جميعا » . ومضت اعداد المجلة تصدر تحمل اسماء اعلام كتاب الادب العربي في لبنان : عمر فاخوري ، صلاح الاسير ، الياس ابو شبكة ، الدكتور زكي المحاسني ، وداد سكاكيني ، فلك طرزي ، كرم ملحم كرم .

ومنذ العدد الثاني بدت الكلمة المرشوقة على الصدر كالوسام تستوحي الادب العربي فهي لابن المقفع « حق على العاقل ان يتخذ مرآتين فينظر في احداهما الى مساوىء نفسه فيتصاغر بها ويصلح ما استطاع وينظر من الاخرى في محاسن الناس فيجليها بها ويأخذ ما استطاع منها » .

وقد حملت مجلة الاديب منذ اليوم الاول شرارة الفنون الادبية المختلفة : الشعر والقصة والمقال الادبي ، وجعلت للفن مكانا واضحا في نقده ودراساته ومعارضه ، وحلت جيدها بالصور الفنية والكاريكاتورية في اغلب صفحاتها وارفدت موضوعاتها بتلك الثريات الفنية التي لم تلبث ان أغفت عنها في الاعوام التالية ، ومضت «الاديب» تنمو والحرب العالمية تزداد عنفا ، وقاست ازمتها الاولى ولكن البير اديب صمد للمحنة ، واستطاع ان يستمر بعزم وقوة ، وقال في مستهل عامها الثالث « انها اعجوبة ان يثابر « الاديب » على الصدور وفي كل مطلع شهر وهو دائب على التجديد والتحسين غير مبال بشتى العراقيل المادية وغير المادية » . وفي العام الثالث بدأت « الاديب » توسع أفاقها فلا تكتفي بكتاب لبنان ، وانما تنطلق في افاق العالم العربي ، العراق، وفلسطين ، والاردن ، ومن مصر نرى منصور فهمي وتوفيق الحكيم ، بل نرى في باب الكتب نقدا لكتاب «حياة مي» للاستاذ محمد عبدالغني حسن في المجلد الاول (نيسان ١٩٤٢) مما يدل على يقظة هذا الباحث العربي ، فلعله اول من اتصل بها من القاهرة، وقد كان عبد الغني منذ سنوات طويلة ولا يزال مرجعا هاما في الدوريات وابحاث الكتب قديمها وحديثها ، اما في عام ١٩٤٤ فقد اتسع نطاق كتاب الاديب من القاهرة حيث نرى بنت الشاطىء في القرية المهجورة ، ومحمود تيمور في انتاجنا القصصي ، وطه حسين في رسائل لبنانية وهو فصل من كتاب لم ينشر حتى الان ، وتوفيق الحكيم والمازني في افتتاحية (نوار ١٩٤٤) وحبيب زحلاوي ، ونرى نقدا لعبدالله العلايلي لقصة توفيق الحكيم زهرة العمر ، فاذا ما أهل عام ١٩٤٥ وقد تخفف العالم من الحرب العالمية الثانية توسع نطاقها ونشر فيها أحمد امين وعبد الرحمن بدوي وعبد الوهاب عزام وجميلة العلايلي وبشر فارس ووديع فلسطين وعبد المعطي المسيري وعلي محمود طه ، وفي عام ١٩٤٧ بدأ اول قلم من المغرب يكتب في الاديب ، هو الدكتور ابو مدين الشافعي الجزائري الاصل ، ومحمد جواد الجزائري ، وما زال كتاب من كل انحاء العالم العربي يضيفون اسماءهم الى كتاب الاديب ، وما زال كتاب مصر يوالون الاديب سنة بعد سنة ، وعددا بعد عدد .

وما زالت مجلة الاديب توسع افاقها وتعمق خطوطها العامة في خدمة الفكر العربي والقومية العربية والادب والشعر ، ومختلف ابواب الدراسات ، فقد اولت باب الكتب ومكتبة الاديب اهتمامها منذ العام الاول ثم توسعت فيه فهي منذ برزت تقدم اكثر من سبعين كتابا في العام وتفسح للادباء مناجاتهم ومساجلاتهم فلا تقل رسائلهم في العام عن مائة رسالة ، وقد عنيت بالمناسبات التاريخية فاحيت كل ذكرى ، وأخرجت عددا خاصا في الذكرى الالفية على مولد المعري ونشرت كتابا مستقلا واقامت مباراة عامة .

ولم تدع مناسبة او كاتبا قضى الا وتناولته بدراسات باقلام كتابها المتعددين ، وهؤلاء الذين انطووا في هذه الفترة (١٩٤٢ ـ ١٩٦٥) امثال هدى شعراوي وخليل مطران ونقولا حداد ، وبشر فارس ، وايليا ابو ماضي ، ومحمد علي الحوماني ، وخليل السكاكيني ، وابراهيم طوقان ، والعقاد والمازني وشكيب ارسلان والدكتور مندور وفارس الخوري وعمر فاخوري ، وامين الريحاني قد نشرت آثارهم وكتب عنهم كما كتب عن غيرهم ممن سبقوا من الادباء المعاصرين امثال ابراهيم اليازجي وفرح انطون وغيرهما ، ومجال الدراسات العربية والاسلامية نجد حشدا هائلا من الابحاث في مجال الموسيقى الشرقية والادب المهجري والرمزية والفلسفة العربية الاسلامية والوجودية والتصوير الاسلامي وعشرات من القضايا والابحاث حتى ليمكن القول بأن الباحث في الادب العربي لا يستطيع ان يتجاوز مجلة الاديب ، ونفس القول يمكن ان يقال في مجال الاحصاء والاستعراض للكتاب والشعراء في العالم العربي فما من اسم من الاسماء يمكن ان يرد على الخاطر في الشرق العربي الا وقد كتب في مجلة الاديب ، اما في المغرب فقد كتب بها عنه قليل في مقدمتهم عبد الكريم غلاب .

ومن العالم الاسلامي كتب ايضا عواد مجيد الاعظمي (الباكستان) وعبد الله بن نوح (اندونيسيا) . اما الكاتبات فان اسماءهن جميعا قد تجاوبت على صفحات الاديب : ماهرة النقشبندي ، واحسان الملائكة ، ونازك الملائكة ، وغادة الحجاوي وسميرة عزام وعشرات .

واذا كانت هناك مدالية تعطى في هذه المناسبة فانما يستحقها امثال وديع فلسطين وعبد الغني حسن والدكتور المحاسني ووداد سكاكيني وعيسى الناعوري وقدري قلعجي ، هؤلاء الذين كتبوا منذ السنوات الاولى ، وما زالوا يوالون الكتابة ، ولقد برزت في السنوات العشر الاخيرة اسماء ما زالت تواصل الكتابة في قوة واستمرار امثال محمد رجب البيومي وابو طالب زيان ومبارك ابراهيم ، وقد مضت الاديب

في مجال الشعر على اوسع نطاق حتى يمكن ان يقال انها كانت ديوان العرب فيه ، وفي مجال التراجم والنقد والتعريف بالكتب والادب العربي القديم في عشرات عن ابن خلدون والجاحظ والمعري والفزالي، اما اعلام الادب الفربي فقد كان لهم مجال واسع .

ومما يذكر ان رجلين نبعا في الاديب وانشأ مجلات من بعد ، اولهما الدكتور سهيل ادريس الذي ساير المجلة منذ اليوم الاول وحرر عددا من الابواب اهمها باب الكتب وقدم عشرات من الكتب في نقد واشارات واعية ، وعيسى الناعوري صاحب مجلة القلم الاردنية المحتجبة ، وما زال صاحبها يواصل الكتابة في الاديب الى اليوم ، ولا ننسى الدكتور زكي ابو شادي الذي راسل المجلة من مهجره في امريكا حتى وفاته اما عبد الكريم غلاب رئيس تحرير جريدةالعلم المغربية الزاهرة فقد كان من اوائل كتاب المغرب اتصالا بالاديب في المشرق فقد نشر له عام ١٩٥١ مقالا عن الادب والانتاج والسكان . وقد عنى بالكتابة في الاديب ادباء من مصر كيوسف الشاروني ومصطفى السحرتي وعبد العزيز سيد الاهل وعبد المنعم خفاجي ، كما اتيح لسميي« انور الجندي » الشاعر السوري ان يسبقني الى الاتصال بالاديب .

اما الدكتور منصور فهمي فقد كان من اوائل المعاصرين الذين نشرت كلماتهم في الاطار الرئيسي للمجلة « تشرين الثاني ١٩٤٣ » وهذه هي « لا تتعصبوا للقديم فينسيكم فضل الجديد ، ولا تتعصبوا للجديد فتاخذوه بترابه وتبره ، وانتم تحسبون ترابه تبرا ، فاذا دعوناكم الى اقتباس بعض النظم الفربية التي يضطرنا اليها تنازع البقاء ، ولا تنافى جمال ماضينا فذلك لاننا نريد ان نسلحكم بسلاح تقفون فيه اقوياء بجانب القوي » .

اما الاستاذ وديع فلسطين الذي واكب الاديب خلال سنواته الطويلة فقد كان اول مقال له عن كتاب (ابو حنيفة لعبد الحليم الجندي) عام ١٩٤٥ ، وفي نفس العدد حديثه الفائز بالجائزة الاولى من محطة الشرق الادنى بيافا وفلسطين ، وفيه يقول « لقد بلغ نضج الشرق الفكري والثقافي مرتبة اصبح لا يقنع فيها بكتب تافهة تصدرها المطابع لاصحاب الاسماء الضخمة ، وان ركب الحضارة سبقنا بقرون ، لا يعلم احد متى نستطيع ان نلحق به او نختصر الشقة بيننا وبينه ، فالمكتبة العربية اصبحت اليوم اكثر من اي وقت مضى في مسيس الحاجة الى موسوعة لشتىالمعارف لا تقلاتقانا وشمولا عن دائرة المعارفالبريطانية».

تلك كانت دعوة وديع فلسطين منذ عشرين عاما ، ومن عجب ان يصدر هذا العدد بعد ان تحقق لوديع المشاركة في انشاء (الموسوعة العربية) وله فيها فصل « الصحافة في العالم العربي » .

واذا كان وديع فلسطين قد مر في هذا العام بازمة نفسية صرفته مؤقتا عن مجال الادب والفكر فانه لا بد عائد مرة اخرى الى مكانه المرموق ، كاحد الكتاب النوابغ في الادب العربي المعاصر وله خبرته وتجاربه الواسعة في مجال الدراسات العربية والفربية ، وفي مجال التاليف والترجمة ، فنحن نحييه هنا من نافذة يوبيل الاديب ، كما نحيي الاستاذ الكبير محمد علي الطاهر الذي كان وما يزال صاحب الدعوة بالسبق الى تقدير العاملين ، وهو الذي لفت الانظار الى اقتراب عيد الاديب فدفعنا الى البحث والعمل لنشارك في عيد هذه المجلة الرائدة التي كانت مجالا لابحاث كل كاتب نابغ وصاحب فكر .

ويمكن ان اذكر بهذه المناسبة (باب برقيات ادبية) هذا الباب الناجح الحافل الذي بدأته الاديب ١٩٤٤ ، فاذا دخلنا ميدان الاحصاء امكنا ان نقول ان مجلة الاديب الزاهرة قد قدمت ما لا يقل عن ١٦ الف صفحة في هذا الربع قرن واكثر من الف وخمسمائة مقال .

واذا كان لنا ان نحي الدكتور سهيل ادريس بوصفه من اوائل كتاب الاديب ذكرنا اول قصة نشرها « الثوب المزق » اب ١٩٤٢ وكوخ جبلي (تشرين اول ١٩٤٢) واين مكانهما الان في مجموعاته القصصية .

ولا ننسى ان نذكر ان « عبد العزيز احمد » كان من كتاب العام الاول في الاديب حيث كان وهو المصري يعمل مديرا للكلية الشرعية في بيروت ، ونذكر « احمد راسم » وهو يكتب عام ١٩٤٢ الى الاديب من السويس لينشر ما عرف به من شعر منثور بالفرنسية والعربية وقصيدته « هل اعرف يوما ».

ولا انسى فصول المسرح والفن والفلسفة والتربية والتعليم في خلال هذا الربع قرن .

وبعد فهذه نظرات سريعة من مجلة الاديب في مجلداتها الخمسة والعشرين ، تحاول ان تلقي الضوء على الاوليات والخطوط العامة التي بدأت في ظل هذه المجلة ، التي يمكن ان تضاف كمرجع اساسي للادب العربي المعاصر ، لا يمكن لباحث ان يتخطاها ، واذا سجلنا هذا فان الامر الذي هو جدير بالنظر والتقدير انما هو « البير اديب » نفسه ، هذا المجاهد الذي ظل مختفيا وراء هذه الصفحات المؤلفة سنوات طويلة يعمل في صمت ، دون ان يعلن عن نفسه ، او يمهر افتتاحيات مجلته ، فقد تكشف عن نفسه في استحياء في العام الاول والثاني ، ثم عاود الاختفاء ، ولم يظهر له في هذه الفترة غير ديوانه الشعري (لمن ؟) عام ١٩٥٢ وكفى ..

هذا الرائد جدير بأن يكشف النقاب عن مضمونه ومفاهيمه ، فلا شك ان الرجل الذي استطاع ان يعمل خلال ربع قرن من زهرة عمره ، مواصلا قيادة مركبه في البحر اللجي ، تصادفه العواصف والاعاصير فلا يطوى شراعه ، ولا يجنح الى الشاطىء ، حقا ، لهو انسان ممتاز قوي الخلق ، له عزيمة بالفة الاصرار ، ومن عجب ان الرجل الذي تعالت صيحاته في السنوات الاولى خوفا من التوقف قد استطاع ان يشق مجراه ويعمقه ، ويحتمل الازمات ويواجهها في قوة ليمضي في الطريق .

ولست ابعد كثيرا عندما اجد في كتابات « البير اديب » ما يكشف عن هذه الشخصية يقول « ان المجد على مختلف انواعه ينحصر في النجاح ، النجاح الذي يحرزه المرء بسعيه ودابه ، وضروب المجد متعددة فلكل صناعة او حرفة مجدها ، ومن خطل الرأي التوكل على الصدف او الظروف في احراز النجاح ، فالصدف تساعد ، وتؤتي ولكنها لا توجد شيئا من لا شيء ، والنجاح هو ثمرة السعي والدأب والاخلاص ، وليس هذا النجاح وليد يوم بل هو نتيجة المثابرة على التجويد بعزيمة ثابتة ومحبة خالصة تسهلان المصاعب وتمهدان الطرق ولهذا فنحن لا نياس لفشل ، ولا نقف عند صدمة ، ولكن نعيد الكرة مرة بعد مرة » .

حقا ، هذه المعاني تعطي سر الرجل ، فهذه كلماته نشرها منذ اكثر من عشرين عاما وما تزال ترسم حياة البير اديب في ارادته وقوته واصراره على العمل ، وهو لا يؤمن بالارادة من غير كفاية ، بل لا بد من الكفاح ، « الكفاية جوهر واساس ولكنها ليست كل شيء ، اذ هناك فضائل اخرى ينبغي ان يتحلى المرء بها ، الناس على اختلاف طبقاتهم وامزجتهم مسوقون بحب البقاء على ترك اثر في الحياة وكلما عظمت هذه المحبة كانت ادعى الى شرف النفس ونبل المقصد » .

ومن خلال كلمات نثرية لالبير تتكشف ثقافته ومفاهيمه فهو يؤمن « بان الشعور الكوني لا يتنافى والشعور الوطني ، بل يزيده قوة اذ يزيده انسانية ، فمتى ادرك امرؤ ما هو مدين به نحو غيره انصف » وعنده « ان الاقساط بالعدل هو اشرف المزايا التي يتحلى بها المجتمع البشري » .

وعنده انه « لا بد لانهاض الامم وتهذيبها من الفكر والعمل ، الفكر مبدع الفن والجمال والحكمة يتجلى ذلك في بناة الاهرام ورافعي الاكروبول ، ومن أعلى قباب الحمراء رمزا للايمان ومن شدا بالالياذه وأوحى بالمرسييز ، فالعمل خالق المثل هو الذي نفح القوة والرجاء في نفوس الرسل والشهداء والجنود وعظماء القواد من بايار الى نابليون ، ومن طارق بن زياد الى الاسكندر وهو ايضا اعطى العالم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابطال الايمان والرحمة والمحبة » .

هذه هي كلمات « ألبير أديب » من ربع قرن تكشف عن ايمانه بالدعوة الانسانية التي لا تنافي الدعوة الوطنية ولا القومية ولكن تزيدها عمقا وخصوبة .

وفي مفاهيم البير اديب للفكر والادب يتجلى منهجه في مجلته الزاهرة ـ على حد تعبيره « تكافح الاديب الابتذال التي تروج له الصحافة الخفيفة بشتى وسائل الاغراء ، وتكافح العدوان الذي يرمي به العرب عن طريق الفكر ، تتلمس الادب الرفيع والثقافة العالية فتقدمها في ضوء عقيدة استقلالية حرة ، وايمان عربي اصيل » . فاذا تطلعنا الى ان نكشف عن شخصية البير اديب وجدنا اعرف الناس به يصورونه على هذا النحو « صريح فيما يتحدث اليك من تحليل علمي او أدبي ، وصريح فيما ينسق ويفصل في صحيفة ، صريح واضح كل الوضوح فيما يبحث من اثار الكتاب والشعراء ، ثم هو صريح بعد ذلك كله فيما يأكل ويلبس ويشرب ، لا غموض في حياته مع الناس ، ولا لبس في عيشه ، يسهم في كل ما يدور حوله الا فيما يشعر او يكتب فهو لين الخطط ويحبر المناهج ويشرع القوانين » .

فاذا تعمقنا حياته الخاصة وجدنا « ابا ندى » انسانا حيا يكتب الى احد اصدقائه في احدى رسائله بعد زواجه يقول :

« اخترت كاميل وانا لا اعرفها في سن الثلاثين ، قل ان للقدر نصيبا في حياتنا يفعل ما يشاء ، ان زوجي مثلي ، وكانها عملت لان تكون لي وصنعت لان اكون لها » وليس البير اديب صاحب مجلة فقط ، وليس هو بشاعر فقط له ديوان « لمن ؟ » الذي اثار ضجة كبرى ونقدا وسخطا واعجابا ، وليس هو صحفي ، وليس هو كاتب له نظرات عميقة في كلمات : الضمير . الربيع . المعلم الاول . الزعامة الحقة ... ولكنه هو ذلك كله وهو الى هذا كله مجرب محنك وخبير بالحياة . يقول : « رأيت كثيرا وعشت كثيرا وانغمست في صميم الحياة ، فخبرتها على اشكالها والوانها المتعددة وتذوقت حلوها وذقت مرها » .

ونحن في هذه اللحظات ندعو له بمزيد من العيش والسعادة والهناء ، ولكلماته ذيوعا ، ولمجلته ازدهارا ، وهذه ليست دراسة وانما هي تحية متواضعة في عيد الاديب وصاحب الاديب .

جريدة « العلم » بالرباط **انور الجندي ـ القاهرة**

•

ذكرى مرور ربع قرن على مجلة الاديب

من مقال للاستاذ جمال عباس بعنوان « موسم الذكريات » :

واذا كنا قد تذكرنا ان ربع قرن قد انقضى منذ وفاة احد رجالاتنا الكبار (امين الريحاني) ، فقد تذكرنا ايضا ان ربع قرن قد انقضى منذ مولد احد منابرنا الكبرى ، واقصد بهذا المنبر مجلة « الاديب ». فلا يصدر هذا العدد من « حوار » الا ويظهر عدد « الاديب » الجديد في حلته التي عرفناها خمسة وعشرين عاما بطولها لم تتغير مرة عن نمطها الكلاسيكي البسيط الرائق ، يحمل في اعلاه تاريخه : « الجزء ١ ، السنة ٢٥ » .

والحق اننا اذا ذكرنا كم من المجلات الادبية عندنا تنشأ وتنمو وتشب وتذبل وتذوي ، كل هذا في غضون سنوات قليلة معدودة (واحيانا في غضون ما هو اقصر من ذلك) ، ادركنا المغزى الخطير والفضيلة الجليلة في تمكن صاحب « الاديب » ورئيس تحريرها ، الاستاذ البير اديب ، من الاحتفاظ بمجلته هذا الزمن المديد . واذا ذكرنا ان المجلة الادبية لم يعد ممكنا لها ، في زماننا هذا ، ان تعيش وتستمر اذا لم يقيض لها سند مالي منتظم ، كمؤسسة ثقافية تمدها بالعون خدمة للثقافة ، او كدار نشر كبرى ، او كحكومة تصدرها هي او تغذيها بالاعلانات الثمينة او ببدل اشتراكات كثيرة العدد ـ وان « الاديب » لم تحظ بمساعدة هذه او تلك او هاتيك ، بل ظلت على الدوام مجهودا فرديا ، ادركنا مدى التضحية التي ضحاها البير اديب ، بصمت وصبر ، هذه السنين الطوال ، ليحتفظ بمجلته كما هي ، وليخرجها عددا بعد عدد ، لا تتوقف مرة عن الصدور ولا تتأخر فيه ولا يقل عدد صفحاتها او يتدنى مستواها الطباعي .اما ان هذا لم يكن بالامر الهين عليه وانه تقاضاه الكثير ، من صحته ومن راحته ومن ماله ، فمعروف ومدعاة للتقدير الابلغ .

تذكر لفيف من ادبائنا هذا ، وتذكروا ان « الاديب » مجلة متمدنة (بل ان المآخذ عليها انها متمدنة مسالمة اكثر مما ينبغي) تترفع عن كل حوار اقليمي وكل نقد جارح وكل تزمت بغيض ، وان العالم العربي ، بسائر اقطاره ، لم يغلق ابوابه دونها يوما ، تذكروا ذاك الذي يجلس وراء مكتبه (الذي هو منزله ايضا) ليقوم بجميع مهام المجلة ، فهو رئيس تحرير ومدير ومنقح ومصحح ومشرف على الاشتراكات والمبيعات والاعلانات ، الى ما هنالك من الاعمال الكبيرة والصغيرة ـ كل ذلك طوال اعوام عديدة امتنع خلالها عن تلبية اية دعوة لحضور مهرجان او مؤتمر ادبي ، فهمه الوحيد ان تصدر مجلته ، كما يريدها ، في حينها وتصل الى كل مشترك والى كل جامعة ، حيث تعد « الاديب » مرجعا ادبيا وتاريخيا امينا لاهم الاحداث الثقافية ومنبرا لاعلام الادب والفكر وتعريفا بانتاجهم . تذكروا ان كثيرا من المع الاسماء عندنا وعند سوانا من الاقطار العربية لم تعرف الا بعد ان احتضنتها « الاديب » وطورتها ، ـ فتسارعوا للكتابة عنه وعن مجلته ، واخذوا يعدون العدة لاحتفال كبير يقيمونه في مطلع العام له ولها .

وقد امل بعضنا ، خلال الاشهر الماضية ، ان تفاجئنا جمعية اصدقاء الكتاب ، التي تعلن عن جوائزها في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) من كل عام ، بان تعلن عن فوز البير اديب بالجائزة الكبرى ، جائزة رئيس الجمهورية . كنا نعرف ان املنا هذا سيظل على الغالب مجرد امل ، لان المقصودفي هذهالجائزة ان تكون تتويجا لنتاج حياة حفلتبالمؤلفات، والبير اديب ذو اثر واحد هو مجموعته الشعرية « لمن ؟ » . لكننا ايضا كنا نرجو ان يحور في شروط الجائزة هذا العام ، فيصبح بالامكان منحها لمن لم يكتب كثيرا وانما استكتب كثيرين ، ولمن لم يخلق كثيرا انما لولاه لقلت جدا خلائق الادب في السنوات الفائتة الخمس والعشرين . ليس من بين العاملين في حقل الادب من هو مظلوم ومن يغمط حقه في العادة اكثر من الناقد (« هل رأيت قط في اية ساحة تمثالا لاي ناقد ؟») ـ اللهم الا المحرر . رغم هذا (او لعله لاجل هذا) كنا نؤمل ، خلال الاشهر الماضية ، ان يفوز محرر «الاديب» بالجائزة الكبرى .

مجلة « حوار » ببيروت **جمال عباس**

قريبا يصدر

الوتر الذبيح

للشاعر السوري المجدد

علي الزيبق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com